مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
٦

بلاد العرب بين هيرودوتوس وأريانوس

إعداد

د / السيد جاد

كلية الآداب – جامعة طنطا

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية

العدد الخمسون

يوليو ٢٠٠٢

بلاد العرب بين هيرودوتوس وأريانوس

د. السيد جاد

تتمتع بلاد العرب أو شبه الجزيرة العربية(١) بموقع متميز سهل لها الاتصال بما جاورها من حضارات منذ مرحلة مبكرة فى التاريخ، مثلما أن ظروفها الجغرافية ومواردها الاقتصادية جعلت هذا الاتصال يتعدى فى بعض المراحل التاريخية مجرد الاحتكاك العادىّ إلى ظاهرة الهجرات التى كانت تضم أعداداً كبيرةً نسبياً من السكان. وقد ساعدت هذه العوامل جميعها على جعل شبه الجزيرة على صلة دائمة بما يدور حولها من أحداث، وجعلتها فى بعض الأحيان تخرج من دور المتلقى للتأثيرات الحضارية الوافدة عليها من الحضارات المجاورة لها لتلعب، كما هو معروف، دوراً بارزاً فى تحديد مجريات الأمور فى بلدان المنطقة المحيطة بها. من ناحية أخرى يُعَدّ هيرودوتوس Herodotus وأريانوس Arrianus من أهم المؤرخين اليونانيين القدامى الذين أشاروا فى كتاباتهم إلى شبه الجزيرة العربية، وإلى مواردها، وإلى الدور الذى قام به بعض سكانها فى المرحلة التاريخية المهمة التى يتحدثان عنها، الأمر الذى يضفى على ما يذكره هذان المؤرخان أهمية تشجع على دراسة ما ورد بكتاباتهما عن هذه المنطقة دراسة تفصيلية.

لقد تحدث هيرودوتوس وأريانوس، كما سنرى، عن شبه الجزيرة فى مرحلة تمثل "منعطفاً جديداً فى الحركة التاريخية،"(٢) ليس فقط على صعيد الصراع العسكرىّ بين القوتين الشرقية والغربية القائمتين آنذاك، بل أيضاً على صعيد التفاعل الحضارىّ والثقافىّ بين شبه الجزيرة العربية ذاتها وبين الحضارات المجاورة لها. كذلك فإن مؤلفاتهما تتميز بأهمية خاصة من حيث إنها تشكل - فيما يتعلق بهيرودوتوس تحديداً - البدايات الأولى للدراسات التاريخية اليونانية المتضمنة معلومات تفصيلية عن شبه الجزيرة، وعن سكانها،

ومن حيث إن هذه المعلومات لم تأت فى جملتها عن طريق طرف ثالث؛ إذ كان بعضها وليد احتكاك مباشر بين اليونانيين والعرب. وتسعى هذه الدراسة إلى التعرف بدقة على ما ورد بكتابات هذين المؤرخين عن بلاد العرب، وتبيان المصادر التى اعتمد عليها كل منهما، وإلى توضيح كيفية تطور كتابات المؤرخين اليونانيين عن المنطقة، ودور حملات الإسكندر فى تشكيل مسارها الحضارىّ.

إن الدراسات التى تشير إلى كتابات المؤرخين اليونانيين والرومان عن شبه الجزيرة العربية، والتى قام بها باحثون متخصصون فى حقل الدراسات اليونانية والرومانية، ما تزال تتسم بالقلة التى تحول دون الاستفادة بما سجله هؤلاء المؤرخون على الوجه الأكمل.(٣) هناك، بطبيعة الحال، الدراسة الرائدة التى قام بها لطفى عبد الوهاب يحى بعنوان "الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية"(٤) والتى لفتت الأنظار إلى أهمية هذه المصادر، وبينت بإجمال كيفية تطور معلومات اليونانيين والرومان عن المنطقة. كذلك فقد أعقب هذه الدراسة المهمة عدد من الأبحاث التى يلقى بعضها الضوء على دور الجزيرة العربية وعلى علاقاتها بالقوى المجاورة لها فى العصرين الكلاسيكىّ والمتأغرق،(٥) أىّ النصف الأخير من الألف الأخيرة قبل الميلاد تقريباً، والتى يركز بعضها الآخر على واحد أو غيره من هؤلاء المؤرخين، وعلى ما يذكره من إشارات إلى بلاد العرب وعادات أهلها وتقاليدهم. وهكذا وجدت إشارات ثيوفراستوس(٦) واسترابون(٧) وديودوروس(٨) من يهتم بها ويُعنى بدراستها. وكان من الطبيعىّ وسط هذا الاهتمام الواضح بكتابات المؤرخين اليونانيين والرومان عن شبه الجزيرة العربية، فى الربع الأخير من القرن الماضى، أن يجد عميد المؤرخين اليونانيين من يهتم به وبما يقوله عنها، وأن تكون مقالة مصطفى كمال عبد العليم التى تحمل عنوان "هردوت يتحدث عن العرب وبلادهم"(٩) من أولى المقالات ظهوراً بعد دراسة لطفى عبد الوهاب المشار اليها، ومن أكثرها أهمية فى الوقت ذاته.

ومع ذلك فإن ما ذكره أريانوس عن شبه الجزيرة ما يزال بحاجة إلى

دراسة، على الرغم من أهمية المرحلة الزمنية التى يتحدث عنها، بالإضافة إلى أن المقارنة بين ما ذكره هذا المؤرخ وما ذكره هيرودوتوس من قبله يمكن أن تلقى الكثير من الضوء على تطور علاقات شبه الجزيرة بما جاورها من بلدان فى العصر الكلاسيكىّ والعصر الذى يليه. وتتبين ذلك من الأحداث التى أعقبت الحملة الفارسية على بلاد اليونان، التى يتحدث عنها هيرودوتوس والتى شارك فيها العرب. فلمّا يمر قرن ونصف على حملة الفرس على بلاد اليونان، إلا وقام الإسكندر الأكبر بحملاته المعروفة إلى الشرق والتى كان من نتائجها المهمة، بالنسبة لموضوعنا، أنها أخضعت المناطق الواقعة إلى شمال شبه الجزيرة العربية لنفوذ اليونانيين، وأنها صاحبتها محاولات جادة من جانبهم للدوران حول شبه الجزيرة وللتعرف على أرجائها الداخلية.

وأول ما يمكن ملاحظته فيما يتعلق بتاريخ هيرودوتوس أنه لم يجعل من هذه المنطقة موضوعه الرئيس، مثلما أنه لم يخصها بفصول مستقلة فى مؤلفه. وحتى إذا افترضنا أنه كان فى نية مؤرخنا أن يكتب عدة كتب يتناول أحدها تاريخ الإمبراطورية الفارسية، وتتناول بقيتها تاريخ بلاد اليونان وتاريخ مصر، فإن هذا الفرض لا يعد دليلاً على أن تلك النية كانت تتجه أيضاً إلى كتابة شئ يخص شبه الجزيرة، خاصة وأن ما لديه عنها من معلومات لا يكاد يُقارن بما يذكره عن تلك الأماكن الأخرى.(١٠) وإذا كانت الظروف التى مر بها هذا المؤرخ قد اضطرته فى نهاية الأمر إلى جمع ما لديه من معلومات بين ضفتى كتاب واحد، فإن هدفه من وراء هذا الكتاب الذى حمل عنوان "تواريخ" (*Historiae*) لم يتمثل فى تسجيل تاريخ مصر أو بلاد الفرس، أو غيرها من البلدان، بل فى المحافظة "على ذكرى الأحداث الماضية عن طريق تسجيل الإنجازات الكبرى لكل من أمتنا والأمم الأخرى، وأن يبين بشكل خاص السبب فيما دار بينهما من صراع."(١١)

وهكذا فإن هيرودوتوس يتحدث فى كتابه عن صراع دار فى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد، وشهد هو ذاته بعض أحداثه فى طفولته بحكم إقامته فى مدينة هاليكارناسوس فى جنوب الساحل الغربىّ لآسيا الصغرى، وكان بمقدوره

أن يتحدث إلى أناس عاصروا هذا الصراع وشاركوا فيه بأنفسهم. هذه الحروب التى يشير إليها هيرودوتوس اشتهرت باسم الحروب الفارسية، وهى تسمية توضح ما يعنيه هذا المؤرخ بقوله "الشعوب الأخرى" التى يمكن فهمها بالمقارنة، بطبيعة الحال، ببنى جلدته من اليونانيين. ولأن الإمبراطورية الفارسية كانت تضم فى ذلك الوقت بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام والأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى ومصر، ولأن كافة هذه البلدان ساهمت فى الحملة الفارسية على بلاد اليونان،(١٢) فقد خاض اليونانيون غمار هذه الحروب ضد الفرس وضد الشعوب الواقعة تحت سيطرتهم، فى الوقت ذاته، الأمر الذى يبرر إشارات هيرودوتوس إلى شبه الجزيرة العربية.

ومع ذلك، وعلى الرغم من أن شبه الجزيرة العربية لا تشكل الموضوع الأساسىّ الذى يناقشه هيرودوتوس، فقد تضمن كتابه إشارات عديدة إلى المنطقة، واحتوت هذه الإشارات على الكثير من المعلومات المفيدة التى تبين أهميتها، وتبرز بعض ملامحها الحضارية. حقيقة إن السبب وراء بعض هذه الإشارات يتمثل فى ميل هيرودوتوس إلى الاستطراد، وربما أيضاً فى رغبته إلى أن يحوى كتابه على كافة ما توصل إليه من معلومات، إلا أن منهجه هذا أضفى على إشاراته بعضاً من التنوع، وعلى ما تحتويه من معلومات قدراً كبيراً من الاختلاف عما نجده لدى أريانوس، على سبيل المثال. ويمكن تقسيم ما ذكره مؤرخنا عن شبه الجزيرة إلى أقسام ثلاثة، أولها تلك الإشارات المتعلقة بحدود المنطقة وبموقعها، وثانيها ما يتعلق بمواردها وغرائبها وعادات أهلها وديانتها، أما آخر هذه الأقسام فيتعلق بدورها فى أحداث المرحلة الزمنية التى يتناولها فى مؤلفه.

وإذا بدأنا بما يذكره هيرودوتوس عن حدود شبه الجزيرة العربية وعن موقعها فسنلحظ أن غالبية إشاراته عن هذا الموضوع، بل وعن شبه الجزيرة عامة، تأتى فى سياق حديثه عن مصر، وعلى وجه التحديد فى مجال تعريفه لحدود مصر الشرقية وروايته لبعض الأحداث التى وقعت بالقرب منها. فبمحاذاة هذه الحدود وفى المنطقة الواقعة إلى الشرق من مدينة منف

(هليوبوليس) توجد سلسلة الجبال العربية (*Arabies oros*) التى تمتد من الشمال إلى الجنوب باتجاه البحر الذى يعرف بالأحمر (*es ten Eruthren kaleomenen thalassan*)، وهى الجبال التى استخدمت حجارتها فى إقامة الأهرامات الموجودة بهذه المدينة. أما فيما يتعلق بعرض هذه الجبال، فإنه لا يزعم أنه عاين حدودها وامتدادها بنفسه، لأنه يقول بأنها تمتد، كما سمع (*hws egw epunthanomen*)، من الشرق إلى الغرب مسيرة شهرين، وبأنه توجد على أقصى حدودها الشرقية أرض البخور (*libanwtophora ... termata*).(١٣) وتوضح هذه الإشارة (خاصة بعد مقارنتها بالموضع الذى يذكر فيه أن النيل يقسم مصر إلى قسمين ينتمى أحدهما إلى آسيا، حيث توجد بلاد العرب، والآخر إلى ليبيا، والذى يناقش فيه وجهة نظره بشأن الدلتا(١٤)) أن وصف جبال مصر الشرقية بالجبال العربية يعنى بالدرجة الأولى أنها سلسلة الجبال المواجهة لبلاد العرب.

يؤكد أيضاً هذه الفكرة، أن بلاد العرب تقع إلى الشرق من مصر وأن جبال مصر الشرقية تقع باتجاهها أو بمحاذاتها، الوصفُ الذى يورده هيرودوتوس للبحر الأحمر حيث يقول بأنه يوجد فى بلاد العرب وليس ببعيد عن مصر (*esti de tes Arabies khwres, Aiguptou de ou prosw*) خليج ضيق طويل ممتد من البحر الذى يعرف بالأحمر (أىّ: المحيط الهندىّ) وبأنه يمكن عبور هذا الخليج فى أضيق أجزائه فى نصف يوم، أما بالنسبة لطوله فيمكن للسفينة أن تقطعه باستخدام المجاديف فى رحلة تستغرق أربعين يوماً حتى تصل إلى عرض البحر.(١٥) كذلك فإن القناة التى بدأ الملك المصرىّ نخاو حفرها لتصل بين النيل والبحر الأحمر كانت تبدأ إلى الجنوب قليلاً من مدينة بوباسطيس (تل بسطة الحالية) مارة بالمدينة العربية باتوموس (*para Patoumon ten Arabien polin*) ثم تتجه بعد ذلك إلى البحر الأحمر وأن "بداية حفر هذه القناة كان فى الأراضى السهلية المصرية الموجودة بالقرب من بلاد العرب."(١٦)

وتبين المقارنة التى يعقدها هيرودوتوس بعد ذلك مباشرة، بين قناة نخاو وبين أقصر الطرق بين البحر المتوسط والبحر الأحمر، أن الخط الذى تسير

فيه الحدود بين مصر وبلاد العرب لم يكن واضحاً تماماً فى أذهان اليونانيين وقتئذ، أو أنه لا يمكن تحديده بدقة على أساس ما يورده مؤرخنا من معلومات. فأقصر الطرق من الشمال (البحر المتوسط) إلى الجنوب (البحر الأحمر)، كما يقول، يبدأ من رأس كاسيوس التى تشكل منطقة حدودية بين مصر وسوريا، ويمتد إلى الخليج العربىّ (*Arabion kolpon*) مسافة قدرها على وجه التحديد ألف استاد؛ أما طريق قناة نخاو فإنه أطول من هذا بكثير لأن القناة تسير فى خط متعرج.(١٧) ويختتم هيرودوتوس حديثه عن هذه القناة بما يؤكد أن ما يقصده بالخليج العربىّ فى هذا الموضع لا يعدو ما نسميه حالياً بخليج السويس، وأنه لم تكن لديه فكرة واضحة عن تفرع البحر الأحمر إلى خليجين، الأمر الذى يتبين بشكل خاص من قوله إن نخاو لم يتم مشروعه، وأنه بدلاً من ذلك لجأ إلى بناء بعض السفن البحرية فى البحر المتوسط وفى الخليج العربىّ المجاور للبحر الأحمر (*en twi Arabiwi kolpwi epi tei Eruthrei thalassei*)، وأنه كان يمكن رؤية مراسى هذه السفن فى ذلك الوقت.(١٨)

ربما أن السبب فى سمة عدم الدقة التى تغلب على هذا الوصف لحدود مصر الشرقية يتمثل فى أن بعض العرب كانوا يقيمون فى ذلك الوقت فى بعض المدن الواقعة على هذا الجزء من الحدود المصرية، والتى كانت مدينة باتوموس المشار إليها إحداها. تؤكد هذه الحقيقة أيضاً إحدى الفقرات التى يتحدث فيها مؤرخنا عن الثعابين المجنحة التى تطير من بلاد العرب عند بداية الربيع متجهة إلى مصر. يقول هيرودوتوس: "يوجد مكان فى بلاد العرب ليس ببعيد عن مدينة بوتو (*esti de khwros tes Arabies kata Bouton polin*)، ذهبت إليه لكى أتعرف على موضوع الثعابين المجنحة. وعندما وصلت إلى هناك شاهدت عظاماً وهياكل عظمية لثعابين لا تعد ولا تحصى، وكذلك أكواماً عديدة من الهياكل الكبيرة والصغيرة والدقيقة الحجم." ويستطرد مؤرخنا بعد ذلك موضحاً أن هذا المكان يقع بالقرب من مضيق جبلىّ يفضى إلى واد كبير يتصل بالسهول المصرية.(١٩)

وبالإضافة إلى هذه الإشارات التى تركز على الحدود بين بلاد العرب

ومصر، هناك بعض الفقرات الأخرى التى تحدد بوضوح أكبر موقع هذه البلاد. ففى معرض حديثه عن الطريق الذى سلكته حملة الملك الفارسىّ قمبيز على مصر عام ٥٢٥ ق.م، يقول هيرودوتوس:(٢٠)

> إن المدخل الوحيد إلى مصر [أىّ: من الشرق] هو عبر هذه الصحراء. فالسوريون المعروفون باسم الفلسطينيين هم الذين يمتلكون الأراضى الممتدة من فينيقيا إلى حدود كادوتيس. ومن كادوتيس، وهى مدينة يمكننى القول بأنها لا تقل فى مساحتها عن مدينة ساردِيس، حتى ينيسوس فإن هذه المنطقة تخص ملك العرب. ومن هذا المكان حتى بحيرة سيربونيس التى ينحدر إلى جوارها جبل كاسيوس إلى البحر فانها منطقة تخص السوريين، وتبدأ حدود مصر بعد بحيرة سيربونيس. أما فيما يتعلق بالمسافة بين ينيسوس وبين جبل كاسيوس والبحيرة فإنها مسافة طويلة، ولا تقل عن مسيرة ثلاثة أيام، وهى منطقة صحراوية لا يوجد فيها ماء على الإطلاق.

وبينما يتبين من هذه الفقرة أن بعض القبائل العربية كانت تقيم آنذاك فى مدينة كادوتيس (أىّ: غزة) وفى المنطقة المجاورة لها،(٢١) فإن المقارنة بينها وبين ساردِيس، عاصمة مملكة ليديا القديمة ومن أشهر المدن فى غرب آسيا الصغرى فى ذلك الوقت، توضح أهمية غزة وأهمية دورها فى مجال التجارة لوقوعها فى نهاية الطريق التجارىّ الذى يبدأ من جنوب غرب الجزيرة، وتلقى الضوء على طبيعة استقرار العرب فى هذا المكان فى القرن الخامس قبل الميلاد.(٢٢) من ناحية أخرى توضح المقارنة التى يعقدها هيرودوتوس بين موارد مناطق العالم النائية فكرة اليونانيين عن موقع بلاد العرب. فبينما تقع بلاد الهند، التى تتميز بضخامة طيورها وحيواناتها وبوفرة ذهبها والنباتات الموجودة فيها، فى أقصى الشرق، فإن بلاد العرب تقع فى أقصى جنوب العالم، بالمقارنة بطبيعة الحال ببلاد اليونان، وعلى وجه التحديد إلى الجنوب الغربىّ من قارة آسيا.(٢٣)

ربما أمكن أيضاً أن نفهم من سياق الحديث فى هذا الموضع عن الهند وبلاد العرب وإثيوبيا، أن اليونانيين كانوا يدركون أن الجزيرة تقع على الطريق إلى بلاد الهند، وأنهم كانوا يعرفون كذلك أنها تقع بالقرب من

إثيوبيا، وإن كان هيرودوتوس لم يذكر ذلك صراحة. إنه يناقش فى موضع آخر آراء الجغرافيين وواضعى الخرائط الذين يصورون الأرض على شكل مساحة دائرية منتظمة الشكل، ويجعلون من أوروبا وآسيا قارتين متساويتين فى المساحة تماماً. وبينما يتضح من الأسلوب الساخر الذى يناقش به هذه الآراء أنه لا يعتقد فى صحتها، فإنه يذكر بعد ذلك مباشرة ما يعرفه هو ذاته عن سكان آسيا وعن مساحتها. ويتضح من وصفه أن آسيا تضم فى المنطقة الواقعة بين بلاد الفرس شرقاً والبحر الأحمر غرباً ثلاثة شعوب مختلفة هى الفرس والأشوريين والعرب، مثلما يتبين أيضاً أن المسافة الواقعة بين بلاد الفرس وفينيقيا مسافة شاسعة للغاية.(٢٤) أما آخر الفقرات التى توضح موقع بلاد العرب بالمقارنة بما جاورها من بلدان فتبين أنها تقع فى المنطقة الواقعة بين مصر غرباً ومنطقة آشور شرقاً. ويتبين ذلك من حديثه عن التحصينات التى أقامها المصريون فى مدينة دافنى بالقرب من بيلوزيوم لكى تحمى حدود البلاد الشرقية ضد "العرب والأشوريين،"(٢٥) مثلما يتأكد أيضاً من قوله إن مصر تقع بين حدود ليبيا غرباً وبلاد العرب شرقاً.(٢٦)

وبينما تَجْمَعُ كافة هذه الإشارات المتفرقة إلى حدود بلاد العرب وإلى موقعها ما كان متوفراً آنذاك لدى اليونانيين من معرفة بجغرافية هذه المنطقة، فإنها تبين أيضاً أن هذه المعرفة كانت تقتصر على حدودها الشمالية الغربية، وعلى وجه التحديد على المناطق القريبة من ساحل البحر المتوسط، الأمر الذى يؤكد أن حديث هيرودوتوس عن العرب هو فى الغالب حديث عن العرب المجاورين لهذه المناطق. كذلك فإنه يتبين، خاصة من مناقشته لمعلومات المؤرخين والجغرافيين السابقين له، أن معلومات اليونانيين عن المنطقة وعن حدودها كانت فى زيادة مستمرة فى القرن الخامس قبل الميلاد، وأنهم بدأوا فى التعرف عليها بأنفسهم. لقد كانت السفن اليونانية المبحرة بمحاذاة الساحل الشرقىّ للبحر المتوسط آنذاك تجد فى غزة إحدى المحطات التجارية المهمة على ذلك الطريق، مثلما أن الجنود اليونانيين الذين عملوا لحساب المصريين والفرس قد صحبوا حملاتهم إلى المنطقة وساعدهم ذلك

على التعرف على سكانها.(٢٧)

أما إذا انتقلنا إلى إشارات هيرودوتوس إلى موارد بلاد العرب وعادات أهلها وتقاليدهم فسنلحظ أنها تفتقر إلى الدقة التى يتميز بها نوعاً ما حديثه عن حدودها، يدلنا على ذلك بشكل خاص وصفه لكيفية الحصول على هذه الموارد. فبلاد العرب التى تعد من أغنى بلدان العالم بما فيها من بخور ومرّ وكاسيا وقرفة ومستكة أو لادن، وهى أشياء لا يوجد ما يناظرها فى أى مكان آخر، هى أيضاً أرض العجائب والمخاطر، إذا نظرنا إلى الوسائل الخطرة التى يلجأ إليها العرب للحصول على كافة هذه الأشياء، باستثناء المرّ:(٢٨)

> وفيما يتعلق بالبخور فإنهم يحصلون عليه عن طريق حرق المَيْعَة (*sturaka*) التى يحضرها الفينيقيون إلى بلاد اليونان؛ إذ أنهم يحرقونها ويحصلون بذلك على البخور (*libanwtos*)؛ ذلك أن الأشجار التى ينمو عليها البخور تحميها ثعابين مجنحة صغيرة متعددة الألوان، ويوجد عدد كبير منها حول كل شجرة، وهى الثعابين ذاتها التى تهاجم مصر، ولا شئ يبعد هذه الثعابين عن الأشجار سوى دخان الميعة.
> كذلك فإن العرب يقولون أيضاً إن كافة بلادهم كانت ستمتلئ بهذه الثعابين، ما لم يحدث لها نفس الشئ الذى يحدث للأفاعى. وعلى ما يبدو فإن الحكمة الإلهية، قد حتمت، كما هو منطقىّ، أن تكون كافة المخلوقات التى تتصف بالضعف ويسهل افتراسها بواسطة غيرها متصفة كذلك بوفرة الذرية حتى لا تنقرض من الأرض من جراء تعرضها للافتراس بواسطة الآخرين، بينما تنجب الحيوانات الشرسة القوية عدداً قليلاً من الذرية .... هذا الأمر ذاته يتكرر فى حالة الحيات والثعابين العربية المجنحة. فلو كانت ولادتها هى ذاتها الولادة الطبيعية للثعابين فإن الحياة تصير عندئذ مستحيلة بالنسبة للبشر، ولكنه يحدث فى أثناء التزاوج، عندما يصل الذكر إلى قمة الشهوة ويضع البذرة التى تتولد عنها الذرية، أن الأنثى تأخذ بتلابيبه، ولا تدعه إلا بعد أن تقصم عنقه. وهكذا فإن الذكر يموت بينما تلقى الأنثى أيضاً جزاءها لتسببها فى مقتله؛ إذ أن صغارها ينتقمون لوالدهم عن طريق التهام رحم والدتهم وهم ما يزالون فى أحشائها، ولا يخرجون منها حتى يكونوا قد انتهوا من التهام هذا الرحم. أما الحيات الأخرى التى لا تصيب الإنسان بأذى فإنها تضع بيضها، ويفقس البيض عدداً كبيراً من الصغار. ويبدو فى

واقع الأمر أن الثعابين العربية المجنحة كثيرة العدد، ولكن ذلك لأنها كلها فى بلاد العرب ولا توجد فى أىّ مكان آخر (بينما توجد ثعابين عادية فى كافة الأراضى الأخرى).

وبغض النظر عن "الحكمة الإلهية" (*he pronoie tou theiou*) التى يشير إليها هيرودوتوس وعن تدابيرها فيما يتعلق بأعداد المخلوقات وطبيعتها، فمن الطريف ملاحظة أن ثعابين بلاد العرب لا تختلف عن غيرها الموجودة فى البلدان الأخرى فى كونها مجنحة فقط، إذ أنها أيضاً تتميز عنها بكونها تلد. وبينما يستطرد مؤرخنا بعد ذلك موضحاً الكيفية التى يحصل بها العرب على منتج آخر من أهم منتجاتهم، هى الكاسيا (أو: القصيعة)، فإن الأمر لا يخلو هنا أيضاً من بعض المبالغات التى تجعل من هذه المنطقة بالنسبة لليونانيين أرض الغرائب:(٢٩)

> أما بالنسبة للكاسيا (*kasie*) فإنهم عندما يبحثون عنها يخيطون جلود الثيران وغيرها من أنواع الجلود، ويغطون بها أجسادهم ووجوههم، تاركين فقط عيونهم. وتنمو الكاسيا فى بحيرات ضحلة، وتعيش فى هذه البحيرات ومن حولها مخلوقات مجنحة تشبه إلى حد كبير الخفافيش. وهذه المخلوقات تصدر أصواتاً صاخبة وتقاوم مقاومة شديدة، ويجب إبعادها عن الرجال حتى يتيسر لهم جمع الكاسيا.

ودون أن يذكر هيرودوتوس الكيفية التى يُبعِد بها العرب هذه المخلوقات، مكتفياً بما ذكره عن أسلوب حمايتهم لأنفسهم، فإنه ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن كيفية الحصول على نبات القرفة، التى يعلق عليها هو ذاته، ذاكراً أنها تفوق فى غرابتها ما سبق ذكره من أشياء:(٣٠)

> وفيما يتعلق بالقرفة (*kinamwnon*) فإنهم يجمعونها بطريقة أشد غرابة مما سبق (*to de ... eti toutwn thwmastoteron*). إنهم لا يستطيعون أن يذكروا شيئاً عن المكان الذى توجد فيه، ولا عن طبيعة التربة التى تنمو فيها، وإن أفضل ما يقال بهذا الخصوص هو أنها تنمو فى الأماكن التى تربى فيها ديونيسوس. ويقال أيضاً إن هناك طيوراً ضخمة تأخذ هذه العصى الجافة التى علمنا الفينيقيون تسميتها بالقرفة، وتحملها إلى أعشاش مبنية من الطمى وملتصقة بصخور شديدة الانحدار لا يستطيع الإنسان الاقتراب منها. أما أسلوب العرب فى التغلب على هذه الطيور فيتمثل

فى أنهم يذبحون الثيران والحمير وغيرها من دواب الحمل، ويقطعونها قطعاً كبيرة، ويضعونها بالقرب من أماكن سكنى هذه الطيور، بينما يقفون هم على مبعدة. وعندما تحط الطيور - كما يقولون - وتحمل قطع اللحم هذه إلى أعشاشها فإنها تهوى من أعلى الجبل لأنها لا تقوى على تحمل وزن اللحم، عندئذ يأتى العرب ويجمعون الأشياء التى يبحثون عنها. وهكذا يروى أن القرفة تجمع بهذه الكيفية وتأتى بعد ذلك من بلاد العرب إلى بقية البلدان.

إن الإشارة إلى المكان الذى تأتى منه القرفة بأنه الذى تربى فيه ديونيسوس (*en toisi ho Dionusos etraphe*) توحى بأن هذا المكان هو إثيوبيا، أو أنه إلى جنوب غرب بلاد العرب، بالإضافة إلى كونه منطقة جبلية.(٣١) ولعله يمكن أيضاً أن نفهم من هذه الإشارة أن دور عرب هيرودوتوس فى تجارة القرفة كان يغلب عليه طابع الوساطة التجارية، أو أنهم حرصوا على صرف الأنظار عن أماكن إنتاجها. ترد بعد ذلك الكيفية التى يحصل بها العرب على اللادن. وبينما يتبين من عبارات مؤرخنا أنه لا يعرف الكثير عن هذا الموضوع، فإنه لا يفتأ يذكر أيضاً أن كيفية الحصول عليه ما تزال أكثر غرابة مما سبق ذكره من عجائب:(٣٢)

أما عن الليدانون (*ledanon*) الذى يسميه العرب اللادانون (*ladanon*)، فإن جمعه يتم بشكل أكثر غرابة مما سبق. إن رائحته من أطيب الروائح (*euwdestaton*)، ومع ذلك فإنه يوجد فى أبشع الأماكن (*dusodmotatwi*)، إذ أنه يوجد فى لحى التيوس، ويتكون فيها على شكل شجرة لادن. وهذا اللادن يستخدم فى صناعة عديد من العطور، ويستعمله العرب فى البخور أكثر من غيره.

ويختتم هيرودوتوس حديثه عن منتجات شبه الجزيرة وعن عطورها موضحاً أنه ذكر ما يكفى عن هذا الموضوع، ومؤكداً أن هواءها عَطِر وأن رائحة العطر تفوح فى أرجاء هذه البلاد. أما عن تربة هذه البلاد فيلحظ أنها أيضاً تختلف عن تربة مصر الطميية السوداء، وإن كان هناك نوع من التشابه بينها وبين التربة السورية؛ فهى تربة يغلب عليها الطابع الصلصالىّ والحجرىّ فى آن واحد(*argilwdesteren*).(٣٣)

ولا تقتصر عجائب بلاد العرب وغرائبها على مواردها النباتية التى عرفها اليونانيون وتمتد إلى بعض حيواناتها المستأنسة. ونلحظ هنا أن هيرودوتوس لا يشير فى هذا السياق إلى الجمال أو الخيول التى تعد من أشهر الحيوانات المرتبطة بالمنطقة، على الأقل فى وقتنا الحالى؛ إذ أنه يقتصر فى حديثه عن هذا الموضوع على الأغنام. وتختلف الأغنام العربية فى شكلها عن تلك التى يعرفها بقية العالم، وعن التى يعرفها اليونانيون فى بلادهم، وهى نوعين:(٣٤)

> أحد هذين النوعين له ذيول لا تقل فى طولها عن ذراعين. وإذا جرّت هذه الماشية ذيولها وراءها فلا شك فى أنها سوف تعانى من الألم بسبب احتكاك الذيول بالأرض، ولكن كل راع هناك على دراية بقدر كاف من حرفة النجارة يتيح له أن يصنع عربات صغيرة يثبتها تحت الذيول عن طريق ربط ذيل كل حيوان على عربته الخاصة. أما النوع الآخر من الماشية فله ذيل لا يقل عرضه عن ذراع كاملة.

أما إذا انتقلنا إلى عادات سكان بلاد العرب وتقاليدهم فسنلحظ هنا أيضاً أن هيرودوتوس لا يعرف الكثير عن هذا الموضوع. فالإشارات القليلة المقتضبة التى يوضح فيها بعض هذه العادات ترد فى سياق حديثه عن ديانتهم، وعن أسلوبهم فى القتال، وعن علاقاتهم الخارجية. ففى مجال الحديث عن ديانة الفرس يذكر هيرودوتوس أن العرب يتعبدون للإلهة يورانيا التى عَلموا (هم والأشوريون) الفرسَ طقوس عبادتها، والتى حملت اسم موليتا عند الأشوريين واسم اليلات عند العرب.(٣٥) أما الإشارة الأخرى إلى نفس الإلهة فتوضح مدى أهميتها فى العقائد الدينية عند العرب، وتبين تأثير تلك العقائد فى حياتهم. فالعرب يتعبدون، كما يقول، لإلهين لا ثالث لهما، هما ديونيسوس ويورانيا، اللذان يقابلان عندهم اوروتالت واليلات. إن التشابه الواضح بين اسم اليلات واسم اللات، أهم الآلهة الإناث عند الأنباط الذين كانوا يقيمون فى شمال غرب شبه الجزيرة فى القرون التالية لهيرودوتوس، يمكن أن يعدّ دليلاً على صحة ما يذكره عن أهمية هذه الإلهة. ومع ذلك فمن الصعب تفسير

التفاوت بين اسم اوروتالت واسم ذى الشرا، الإله الذى يفترض أنه يقابل عندهم ديونيسوس.(٣٦)

ويبين هيرودوتوس جانباً من أهمية أوروتالت فى حياة العرب حينما يذكر أنهم يقصون شعر رأسهم فى شكل دائرىّ، وأنهم يحلقون أصداغهم، وأنهم يفعلون ذلك تقليداً لإلهم هذا. من ناحية أخرى فإن العرب يهتفون بأسماء هذين الإلهين ويدعونهم فى الطقوس التى يؤدونها فى أثناء عقدهم لاتفاقياتهم.(٣٧) لقد انتهز هيرودوتوس فرصة الإشارة إلى اتفاقية المرور التى عقدها الملك الفارسىّ قمبيز مع الملك العربىّ الذى يحكم منطقة غزة ليمدح العرب لمراعاتهم أكثر من بقية الشعوب الأخرى قدسية العهود (sebontai de Arabioi pistis anthrwpwn homoia toisi malista)، ثم انتقل بعد ذلك مباشرة إلى ذكر الكيفية التى يوثقون بها عهودهم:(٣٨)

> فعندما يرغب رجلان فى عقد اتفاق بينهما فإنهما يحصلان على مساعدة رجل ثالث يقف بينهما، ويقطع كفيهما بالقرب من قاعدة الإبهام بحجر حاد، ثم يأخذ قطعة صوف من ملابسهما، ويغمسها فى الدم، ويلطخ به سبعة أحجار موضوعة بينهما، ذاكراً أسماء ديونيسوس ويورانيا وهو يقوم بذلك العمل. بعد ذلك يوصى الرجل الذى أعطى العهد بالغريب أو بمواطنه، كيفما كان الحال، إلى أصدقائه الذين يعتبرون أنفسهم فى هذه الحالة مسؤولين عن العهد بالقدر نفسه.

وبينما يمكن بطبيعة الحال استبعاد أن يكون الاتفاق بين الملك الفارسىّ أو بين مبعوثيه ونظيره العربىّ قد تم بالكيفية المشار إليها، فإن القصة تحتوى على الرغم من ذلك على بعض الحقائق والعديد من الرموز التى يمكن الاطمئنان إلى صحتها. فإشهاد الآلهة على العهود والمواثيق، والتأكيد عليها بمزج دماء المتعاهدين، أمر معروف فى العالم القديم، ويمكن أن يعد دليلاً على الأخوة التى يفترض نشأتها بينهم بعد ذلك. وكما يروى هيرودوتوس ذاته فإن الاسكيثيين، وهم قوم كانوا يسكنون المنطقة الواقعة شمال القوقاز:(٣٩)

> عندما يعقدون اتفاقاً، يملأون وعاءاً فخارياً كبيراً بالخمر، ويضعون فيه قليلاً من الدماء التى يأخذونها من المتعاهدين إما عن طريق إحداث ثقب بواسطة إبرة، أو من جرح صغير بالسكين، ثم يغمسون سيفاً وبعض

السهام وبلطة حربية ورمحاً فى الوعاء، ثم يتلون عدة صلوات، وفى النهاية يشرب الطرفان المتعاهدان وأتباعهم خليط الخمر والدم.

ومثلما يمكن ملاحظة استخدام الاسكيثيين للسيوف والسهام والبلطة، وشربهم مزيج الخمر والدم، فإنه يمكن أيضاً ملاحظة عدد الأحجار الموضوعة بين المتعاهدين العرب والتفكير فيما لهذا العدد من دلالة، بل وملاحظة أن الأشياء الموضوعة بينهما هى من الحجارة، وأن ملابس المتعاهدين ذاتها هى التى تستخدم فى تلطيخ الحجارة بالدم. الأمر الآخر الذى يستلفت الانتباه فى هذه الطقوس هو أهمية الإعلان عن الاتفاق أمام جمع من الناس الذين كان حضورهم ضرورياً ربما لوجود نوع من "المسؤولية الجماعية" بين أطراف المعاهدة والجماعات التى ينتمون إليها، الشئ الذى يعطى فكرة عن تكوين المجتمع العربىّ، وعن دور "العصبية القبلية" فى حياته فى ذلك الوقت.(٤٠)

كذلك فإنه يمكن النظر إلى أسلوب الإعلان عن الاتفاق وإشهاره بهذه الكيفية على أنه بديل لتسجيل الاتفاق كتابة، وربما كان ذلك لأن الكتابة لم تكن معروفة فى ذلك الوقت على نطاق واسع بين الجماعات العربية التى أقامت فى شمال غرب شبه الجزيرة. لقد بدأت العصور التاريخية فى الجنوب الغربىّ لشبه الجزيرة وكان ذلك فى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد، كما أن بعض الدول التى نشأت فى اليمن بعد هذا التاريخ سعت إلى أن يكون لها نفوذها فى شمال غرب شبه الجزيرة على أساس أن هذه المنطقة تتحكم فى نهاية الطريق التجارىّ البرىّ الساحلىّ الذى يبدأ من اليمن ويصل فى النهاية إلى منطقة فلسطين وفينيقيا، لتصل المنتجات الشرقية بعد ذلك إلى أرجاء البحر المتوسط. ومع ذلك فإن امتداد هذا النفوذ لم ينجم عنه بالضرورة، على الأقل كما يتضح من إشارة هيرودوتوس، انتشار الكتابة فى المناطق الواقعة فى دائرته بالكيفية التى حدثت فى الجنوب الغربىّ.(٤١)

ويشير هيرودوتوس إلى عادة من العادات المتعلقة بالحياة الخاصة عند العرب، وهى عادة تبين أهمية البخور وجانباً من جوانب استخداماته فى حياتهم اليومية. وبينما ترد هذه الإشارة بشكل غير مباشر فى معرض حديثه

عن سكان منطقة جنوب العراق المتاخمة لحدود بلاد العرب الشمالية الشرقية، فمن الطريف أن نلحظ أنها تتعلق بالطقوس التى يقومون بها بعد الجماع. "فعندما ينتهى البابلىّ من مضاجعة زوجته يجلس فوق البخور لكى يبخر نفسه، بينما تجلس زوجته أمامه وهى تفعل الشئ نفسه. وعند شروق الشمس يبادر كل منهما بالاغتسال، كما أنهما لا يلمسان أىّ شئ من أدوات المنزل قبل الاغتسال. وفى هذا الأمر فإنهم يشبهون العرب."(٤٢)

ونتبين أيضاً بعض عادات العرب اليومية وأسلوبهم فى القتال من الإشارات التى يوردها هيرودوتوس عن مجموعة الرماة الذين صحبوا جيوش الفرس فى حملتهم على بلاد اليونان. لقد كان هؤلاء الرماة "يرتدون رداءً يسمى زايرا (*zeira*) ويربطونه بحزام، ويحملون على الجانب الأيمن سلاحهم المكون من قوس طويل إلى حد أنه ينحنى إلى الاتجاه المعاكس فى حالة كونه غير مشدود." وهكذا فإن العرب يتميزون عن غيرهم بأقواسهم الطويلة، وبردائهم الذى ربما كان بردة من نوع ما. فالاسم الذى أطلقه هيرودوتوس على هذا الرداء، ربما كان تحريفاً لكلمة "سيرا" التى أطلقها العرب على أحد أنواع البُرْد التى يرتدونها، والتى كانت أيضاً ذات أصل يمنىّ، كما يقترح جواد على.(٤٣) ومع ذلك فإنه يمكن نطق هذه الكلمة باليونانية بشكل مختلف، فالحرف الأول يمكن أن ينطق كما لو كان مكوناً من حرفين هما الدال والزين، وبالتالى فإنه يمكن مقارنتها بكلمة "صديرا"، ويمكن أن نفهم منها فى هذه الحالة أنها كانت رداء يغطى بالدرجة الأولى منطقة الصدر وما يليها إلى قرب الركبة. أما المجموعة الأخرى التى حاربت فى جيش داريوس فقد كانت تحمل السلاح المعتاد الذى يحمله الفرسان، إلا أنها كانت، كما يلحظ هيرودوتوس، تمتطى الجمال التى لا تقل فى سرعتها عن الخيول. وكان موضع هؤلاء المقاتلين فى مؤخرة الجيش وذلك حتى لا تخاف الخيول التى كانت لا تستطيع تحمل وجود الجمال إلى جوارها، وتنفر من رائحتها.(٤٤)

وتنتقل بنا هذه الإشارات إلى العرب المحاربين فى الجيوش الفارسية

إلى المجموعة الثالثة من الفقرات التى يوردها هيرودوتوس عن دور سكان الجزيرة فى الأحداث المحيطة بهم فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. وأول ما نلحظه عن هذا الدور أنه يجمع بين النشاطين التجارىّ والعسكرىّ. لقد اشتهر العرب فى ذلك الوقت بالعمل التجارة، ولم تقتصر تجارتهم على موارد المنطقة التى يقيمون بها، بل إنهم عملوا أيضاً بوصفهم وسطاء تجاريين، إذ أنهم كانوا يأتون بمنتجات الهند لبيعها للشعوب المطلة على البحر المتوسط عن طريق ميناء غزة. ويمكن هنا أن نشير إلى حرص العرب، الذى يتبين فى حديث هيرودوتوس عن القرفة، على عدم ذكر الأماكن التى يأتون منها بمنتجاتهم الثمينة من ناحية، وعلى المبالغة فى ذكر المخاطر التى يتعرضون لها من ناحية أخرى.(٤٥) لقد كان الهدف فى كلتا الحالتين هو حماية تجارتهم التى كانت، واستمرت فى واقع الأمر بعد هذا التاريخ لما يقرب من ألف عام، من أهم مواردهم الاقتصادية.

ويتبين من حديث هيرودوتوس عن موارد شبه الجزيرة أن التجارة بينها وبين بلاد اليونان أصبحت تجارة مباشرة نوعاً ما بعد أن كانت تتم فى النصف الأول من الألف الأخيرة قبل الميلاد بوساطة الفينيقيين. ففى معرض حديثه عن البخور يذكر المَيْعَة التى يحرقها العرب لإبعاد الثعابين المجنحة حتى يتيسر لهم جمعه، ويضيف قائلاً بأن هذه الميعة "يحضرها الفينيقيون إلى بلاد اليونان" (*ten sturaka thumiwntes, ten es Elenas Phoinikes exagousi*).(٤٦) وعندما أشار إلى القرفة فإنه يذكر الأعواد الجافة التى علمهم الفينيقيون أن يطلقوا عليها اسم كينامون" (*tauta ta karphea ta hemeis apo Phoinikes mathontes Kinamwnon kaleomen*).(٤٧) أما الفقرة التى يشير فيها إلى اللادن فإنه يذكر اسمها عند اليونانيين ويضيف قائلاً بأن هذا المنتج يسميه العرب (*to de dē Ledanon, to kaleousi Arabioi Ladanon*) (وليس الفينيقيين أو غيرهم) اللادن.(٤٨) لقد كان السبب وراء قيام علاقات تجارية مباشرة بين العرب وبلاد اليونان، بالإضافة بطبيعة الحال إلى تقلص الدور الفينيقىّ فى هذا المجال، يتمثل من ناحية فى وصول بعض الجماعات العربية إلى ساحل البحر المتوسط وإقامتهم،

كما سبقت الإشارة، فى مدينة غزة وما حولها، وفى ارتياد اليونانيين للأجزاء الشرقية من البحر المتوسط واستيطانهم لبعض مدنها، من ناحية أخرى.(٤٩)

ولم يقتصر دور العرب حوالى منتصف الألف الأخيرة قبل الميلاد على التجارة. لقد حفلت هذه المرحلة بالعديد من الأحداث التى لم يكن سكان الجزيرة، وخاصة سكان أطرافها الشمالية، بمعزل عنها. وهكذا فإننا نسمع عن الدور الذى قام به العرب فى تحرير القدس وفلسطين من الاحتلال الأشورىّ، وعن المساعدة الكبيرة التى قدموها لليهود حتى تحقق هذا الأمر.(٥٠) وكان الأشوريون قد فرضوا سيطرتهم على منطقة جنوب فلسطين ووصلوا إلى شمال الحجاز، وسيطروا بذلك على أهم المدن العربية الواقعة على الطريق التجارىّ الساحلىّ الغربىّ لشبه الجزيرة. وكان على العرب، إذا ما أرادوا الحفاظ على مصالحهم الاقتصادية وعلى تجارتهم الرائجة، أن يتخلصوا من هذا النفوذ الأشورىّ وأن يساعدوا اليهود الذين يقيمون بالقرب منهم فى التخلص منه.

إن هيرودوتوس لا يطيل الحديث عن هذه الأحداث، ولا عن دور العرب فيها، على الرغم من قرب العهد بينه وبينها، بل إنه لا يطيل الحديث عن دور العرب فى الأحداث التى سبقت قيام الإمبراطورية الفارسية بشكل عام.(٥١) ويجعلنا ذلك نؤكد أن حديثه عن دور العرب وعن نشاطاتهم فى المنطقة يأتى بشكل أساسىّ فى مجال حديثه عن الدولة الفارسية التى كانت هى والحروب التى قامت بها ضد بلاد اليونان المحور الرئيس فى كتابه. وبينما يمكن النظر إلى اهتمامه بالدولة الفارسية على أنه أمر طبيعىّ، خاصة وأن مدينته التى تربى فيها هى وبقية مدن ساحل آسيا الصغرىّ الغربىّ قد خضعت للنفوذ الفارسىّ، فإن حديثه عن دور العرب فى هذا السياق يذكرنا بالكيفية التى أشار بها إلى حدود بلاد العرب فى مجال تعريفه بمصر وبحدودها. الأمر الأخير الذى يمكن ملاحظته على ذلك الحديث أنه يساعد على تفهم كيفية تطور كتابات اليونانيين عن شبه الجزيرة، وعلى الظروف التاريخية التى جذبتهم إليها.

ويوضح هيرودوتوس فى الفقرة الرابعة من كتابه الثالث الأسباب التى دفعت الفرس إلى فتح مصر، ودور اليونانيين والعرب فى ذلك الفتح. وبينما يمكن استبعاد بعض هذه الأسباب لما يغلب عليها من خيال، فإن ما يذكره عن أحداث الفتح يستلفت الانتباه. لقد كان فانيس الهاليكارناسىّ يعمل لحساب ملك مصر أمازيس، إلا أنه هجره وذهب إلى الملك الفارسىّ، وعرض عليه خدماته ومساعدته فى فتح المكان الذى كان يعمل فيه من قبل. ولا يجد هيرودوتوس أية غضاضة فى أن يمدح ما قام به فانيس، الذى كان أحد مواطنىّ مدينته، موضحاً ضخامة الفائدة التى قدمها للملك الفارسىّ:(٥٢)

> هناك شئ آخر ساعد على نجاح الحملة الفارسية على مصر. لقد كان هناك أحد الجنود المرتزقة فى جيش أمازيس، وهو جندى من هاليكارناسوس يدعى فانيس ويتصف بالشجاعة وبالذكاء (*gnwmen hikanos kai ta polemika halkimos*) ونظراً لأنه كان غير راض لسبب أو لآخر عن ظروف عمله فقد تخلى عنه وهرب من مصر عن طريق البحر بهدف أن يتقابل مع قمبيز. ولأنه كان رجلاً مهماً فى الجيش وكانت لديه معلومات دقيقة للغاية عن الأحوال الداخلية فى مصر (*epistamenou te ta peri Aiguptou atrekestata*)، فقد حاول أمازيس بكافة السبل القبض عليه .... وكان قمبيز يسعى بجدية إلى القيام بهجوم على مصر، ويفكر فى أفضل السبل لعبور الصحراء، عندما قدم فانيس عليه. ولم يكشف هذا الأخير لقمبيز عن كافة أسرار أمازيس فقط، بل إنه زوده أيضاً بنصيحة مؤداها أن أفضل وسيلة لعبور الصحراء تتمثل فى مراسلة ملك العرب للحصول على حق المرور (*pempsanta para ton Arabiwn Basileu deesthai ten diexodon hoi asphalea paraskhein*)

ويمر هيرودوتوس مرور الكرام على الأسباب التى جعلت فانيس يترك الجانب المصرىّ إلى الجانب الفارسىّ، ولعله أيضاً آثر ألا يذكر الأسباب الحقيقية لما قد تحتويه من دلالات سيئة ربما تتعارض مع المديح الذى يكيله له.(٥٣) من ناحية أخرى كانت المساعدة التى قدمها هذا القائد للملك الفارسىّ "لا تقدر بمال،" خاصة وأن قمبيز كان فى أمس الحاجة إليها: لقد أخبره فانيس عن الأحوال داخل مصر، ودله على الطريق إليها، ونصحه بعقد معاهدة مع ملك العرب. ويضيف هيرودوتوس قائلاً: "وعمل قمبيز بنصيحة فانيس وأرسل إلى الملك العربىّ، طالباً حق المرور الذى وافق عليه الأخير،

وتم تبادل العهود والمواثيق بين الطرفين.(٥٤)

من الملفت للنظر فى هذا الوصف أن هيرودوتوس لا يذكر اسم "ملك العرب" (*ton Arabiwn Basilea*) الذى عقد الاتفاقية مع قمبيز، على الرغم من أهمية الاتفاقية وأهمية المساعدة التى قدمها هذا الملك وأتباعه للفرس فى فتح مصر. وبينما تتعارض أهمية الحدث مع جهل هيرودوتوس باسم الرجل تعارضاً واضحاً، فإنها تؤكد ما سبق ذكره من أن حديثه عن بلاد العرب لم يكن مقصوداً لذاته، وأن ما يذكره هنا من أحداث يكرر ما يعرفه اليونانيين عنها، وربما أيضاً ما تعلموه من الفرس عن هذه الأحداث، دون أية محاولة من جانبه لتحرى الدقة. ولا يتبين ذلك فقط من عدم ذكره لاسم الرجل، بل يتبين أيضاً من إطلاقه لقب "ملك" عليه.(٥٥) ولهذا، فإن استخدام هذا اللفظ فى وصف حاكم أو شيخ هذه المنطقة لا يمكن أن يعد دليلاً فى حد ذاته على أن العرب المقيمين فى هذه المنطقة كانوا يعيشون فى "مملكة" تتشابه فى قليل أو كثير مع الممالك المستقرة المجاورة لهم فى الغرب أو فى الشمال.(٥٦)

وبمقتضى هذه الاتفاقية بين الفرس والعرب قدم "الملك" العربىّ المساعدة التى يحتاجها الجيش الفارسىّ لعبور الصحراء. ويذكر هيرودوتوس روايتين عن الكيفية التى زود بها العرب الفرس بالمياه التى يحتاجونها، موضحاً أنه يميل إلى إحداهما:(٥٧)

> فبعد أن تبادل الملك العربىّ عهود الصداقة مع قمبيز، تمثلت الوسيلة التى اتبعها لمساعدة الجيش المصرىّ [أىّ: الجيش الفارسىّ ضد مصر] فى أنه ملأ قرباً مصنوعة من جلود الجمال وحملها على ظهور ما لديه من جمال حية، ثم حملها إلى الصحراء حيث انتظر قدوم الجنود. تلك على أية حال هى الرواية التى يمكن تصديقها بدرجة أكبر من الرواية الأخرى التى يجب علىّ أن أذكرها أيضاً. وطبقاً لهذه الرواية قام الملك العربىّ بإعداد أنبوب طويل مصنوع من جلود الأبقار وغيرها من الجلود التى خاطها ببعضها، ويبدأ الأنبوب من كوريس وهو نهر كبير فى بلاد العرب يصب فى البحر الأحمر، ويمتد مسافة طويل فى الصحراء ليملأ فى النهاية خزانات ضخمة معدة لأجل تخزين المياه. وقد تم إحضار المياه إلى ثلاثة أماكن مختلفة عبر مسافة تمتد بين النهر والصحراء مسيرة اثنى عشر يوماً (*hodos de esti duwdeka hemerwn*).

ويترك مؤرخنا للقارئ أن يتفهم رفضه للرواية الأخيرة دون أن يلمح هو إلى مبررات هذا الرفض. ونتبين من الرواية ذاتها عدم إمكانية تحقيق فكرة الأنبوب من الناحية العملية فى ضوء ما نعرفه عن تضاريس المنطقة، وبسبب طول المسافة التى نُقلت عبرها المياه. حقيقة إن القِربَ الجلدية والخزانات كانت أشياءً معروفة فى ذلك الوقت، مثلما أن "النهر الكبير" (*potamos megas*) الذى يشير اليه لا يزيد فى الغالب عن كونه أحد مجارى السيول المعروفة فى بلاد العرب. ومع ذلك فإن توقيت الحملات العسكرية الذى كان عادة فى الربيع وأوائل الصيف، وما نعرفه عن مواسم سقوط الأمطار على المناطق الشمالية الغربية لشبه الجزيرة وسيناء يضعف من احتمال أن تكون المياه قد أتت من أحد هذه المجارى المائية. ربما أن الاحتمال الأكبر أن العرب أحضروها من بعض العيون المائية الموجودة فى سيناء، وأن هيرودوتوس بالغ - كما فعل فى أماكن أخرى عديدة - فى ذكر المسافة التى قطعتها الجمال المحملة بالمياه.(٥٨)

لقد أتت مساعدة العرب للفرس ثمارها؛ إذ أن قمبيز تمكن من فتح البلاد فى حملته هذه. ويثير هذا الموقف العربىّ من الحملة الفارسية على مصر بعض التساؤل عن الأسباب التى دفعت ملك العرب إلى مساعدة الفرس فى الوقت الذى وقفوا فيه بقوة ضد محاولات الأشوريين السيطرة على المنطقة من قبل. ومع ذلك فليس ببعيد أن المبعوثين الذين أرسلهم قمبيز للاتفاق مع ملك العرب أوضحوا له بجلاء أن غاية ما يريدونه هو حق "المرور بسلام" (*diexodon asphalea*)، وأنه أدرك أن الفرس يختلفون بذلك عن الأشوريين الذين هددوا هذا النفوذ من قبل. ربما أيضاً أن العرب قد سمعوا، من الفينيقيين أو من غيرهم، عن طبيعة حكم الفرس للمناطق التى فتحوها من قبل، وأدركوا أنهم يمكنهم الوثوق بما يذكره سفراء الملك الفارسىّ عن نوايا الحملة وأهدافها، أو أنهم أحسوا بالإضافة إلى ذلك أنه لا طاقة لهم بمواجهة الجيوش الفارسية.(٥٩)

من ناحية أخرى حصل العرب على مقابل لهذه المساعدة، وتمثل ذلك فى

المكانة المتميزة التى تمتعوا بها بين الولايات والشعوب التابعة للإمبراطورية الفارسية. فبينما امتد سلطان الملك الفارسىّ التالى لقمبيز على كافة شعوب آسيا وبلدانها، كما يقول هيرودوتوس، لم يخضع العرب وحدهم لهذا النفوذ "لأنهم أصبحوا أصدقاء (Xeinoi) للفرس منذ أن ساعدوا قمبيز على المرور بأراضيهم فى أثناء حملته على مصر، التى ما كانوا ليدخلونها بدون موافقة العرب (aekontwn gar Arabiwn ouk an esbaloien Persai es Aigupton)".(٦٠) ومع ذلك فإنه لا ينبغى أن نعتقد أن تلك الصداقة كانت بين أطراف متكافئة أو دون مقابل، على الأقل كما يتضح من ذكر "الهدايا" التى كان على العرب تقديمها سنوياً للملك الفارسىّ والتى كانت تنتقى من خيرة موارد شبه الجزيرة، وكما يتضح أيضاً من اضطرارهم إلى إرسال بعض الجنود للمشاركة فى الحملة التى قام بها داريوس على بلاد اليونان.(٦١)

وهكذا فإنه يتبين من حديث هيرودوتوس عن موارد جزيرة العرب، وعن دور سكانها فى الأحداث التى جرت فى عهد الإمبراطورية الفارسية والإمبراطوريات الشرقية التى سبقتها، أنهم لم يكونوا بمعزل عن الأحداث التى تقع فى شمال شبه الجزيرة العربية، وأنهم كانوا على صلة وثيقة بالشعوب والأمم المقيمة إلى الشرق والغرب منهم سواء فى إيران والهند أم فى مصر وإثيوبيا. حقيقة إن ذلك الحديث يتضمن قدراً كبيراً من المبالغة ولا يخلو فى كثير من الأحيان من الأخطاء، ولكنه يسجل بدقة ما كان اليونانيون يعرفونه فى ذلك الوقت عن شبه الجزيرة وعن أهلها. كذلك فإن هيرودوتوس يعتمد فى الحصول على معلوماته إلى حد كبير على النقل والرواية، وليس على احتكاك مباشر بين اليونانيين والعرب، وهو بالتالى لا يثير هنا المشكلة التى يثيرها حديثه عن مصر والمتعلقة بحقيقة زيارته للأماكن التى يصفها وصف شاهد العيان.(٦٢) فالموضع الوحيد الذى يذكر أنه رآه وشاهد فيه عظام الثعابين المجنحة، لا يعدو أن يكون موضعاً على حدود مصر الشرقية، مثلما أن العرب الذين ذكروا السبب وراء تبجيل المصريين للطائر أبومنجل كانوا يقيمون فى الغالب فى تلك المناطق.(٦٣) لهذه الأسباب فإنه يمكننا اعتبار

معلومات هيرودوتوس أساساً يتيح لنا تحديد الكيفية التى تطورت بها فكرة اليونانيين عن المنطقة وعن أهلها، حيث إن أىّ تعديل فى هذه الفكرة، أو أية إضافة إليها، يمكن أن يشير إلى تطور علاقتهم بها، فى المراحل التالية له.

أما إذا انتقلنا إلى ما يذكره أريانوس Arrianus عن بلاد العرب فسنلحظ - بادئ ذى بدء - أن إشاراته إليها ترد فى كتابه الذى يحمل اسم أناباسيس (*Anabasis*)، والذى يترجم عادة بحملات الإسكندر الأكبر، تلك الحملات التى أخضع بها الإمبراطورية الفارسية والبلدان الواقعة تحت سيطرتها. ويبين أريانوس ذاته أهمية كتابه هذا بين بقية أعماله الأخرى، والعناية التى بذلها فى كتابته له، وبشكل يبرر اشتهاره به فى العصور التالية، قائلاً:(٦٤)

> لست بحاجة إلى أن أذكر اسمى، على الرغم من أنه ليس بالنكرة فى عالمنا هذا، مثلما أنه لا حاجة بى إلى أن أذكر بلدى أو أسرتى أو أىّ منصب رسمىّ شغلته؛ وبدلاً من ذلك دعنى أقول ما يلى: إن هذا الكتاب كان دائماً وما يزال بالنسبة لى منذ أيام شبابى أغلى من البلد ومن العشيرة ومن المناصب العامة، لأنه فى حقيقة الأمر بالنسبة لى هو كافة هذه الأشياء مجتمعة.

ويتبين من ذلك أن إشارات أريانوس إلى شبه الجزيرة لم تكن مقصودة لذاتها، تماماً كما كان الحال مع هيرودوتوس. ومع هذا فإنه يتضح وهلة، ومن خلال معرفتنا لموضوع كتاب أريانوس، أن هناك فارق جوهرىّ يتمثل فى اتجاه الحملات التى يتحدث عنها كل من هذين المؤرخين: فالحملات الفارسية كانت على بلاد اليونان، بينما خرجت حملات الإسكندر منها. وبطبيعة الحال فإن لهذا الفارق دلالته المهمة بالنسبة للمعلومات التى يذكرها أريانوس، وبالنسبة لكيفية الحصول عليها. حقيقة إنه لم يكن معاصراً للإسكندر، ولكن المصادر التى اعتمد عليها كانت معاصرة، بل وقام بكتابتها أناس صحبوا حملات الإسكندر إلى الشرق. ويحدد أريانوس هذه المصادر فى بداية كتابه، قائلاً:(٦٥)

لقد اتبعت الوصف الذى يذكره كل من بطلميوس وأريستوبولوس فى كتابه عن الإسكندر بن فيليب، فى حال اجتماعهما، مفترضاً فيه الدقة؛ أما الحقائق التى اختلفا بشأنها فقد سجلت منها ما شعرت بأنه أكثر احتمالاً وأهمية. هناك العديد من الكتب التاريخية عن حياة الإسكندر ... ولكنه يبدو لى مع ذلك أن بطلميوس وأريستوبولوس هما أجدر الكتاب بالثقة فيما يتعلق بهذا الموضوع؛ لأن الأخير قد صحب حملات الإسكندر، ولأن الأول بالإضافة إلى هذه الميزة كان أيضاً ملكاً، الأمر الذى يجعل الكذب بالنسبة له مشيناً أكثر من أى شخص آخر. أيضاً فإن الإسكندر كان قد توفى عندما كتب هذان الرجلان كتابيهما، ولذلك فلم تكن عليهما أية ضغوط ولم يكن يفيدهما أن يغيرا من الحقيقة شيئاً.

وبينما يمكن - بطبيعة الحال - الإحساس بطرافة الإشارة إلى كون بطلميوس ملكاً، وإلى أنه أولى بالصدق وبالتصديق لهذا السبب، بل والتغاضى كلية عن هذا الإحساس، فمن الأهمية بمكان ملاحظة اهتمام أريانوس بالاعتماد على مصادر معاصرة للأحداث التى تشير ويشير هو ذاته إليها، وهى مصادر كان لأصحابها صلتهم المباشرة بالعرب وببلادهم. كذلك فإن اهتمامه بالنقد وبإبداء رأيه فيما يعرض له من تفاوت فى الآراء، وتركيزه على النقاط التى تمت بصلة مباشرة لموضوعه، كلها أمور تزيد من أهمية معلوماته، وتحدد فى الوقت ذاته طبيعة تلك المعلومات.(٦٦)

لقد لاحظ أريانوس، الذى عاش بعد حملات الإسكندر بما يقرب من أربعة قرون تقريباً، أن الإنجازات التى قام بها هذا القائد ما تزال بحاجة إلى من يكتب عنها، وأنها، وهو الأهم، بحاجة إلى دراسة دقيقة تفصل بين حقيقة تلك الإنجازات وما لحق بها من خلط وتشويه. فالكتابات التى سبقته لم تَرْق من وجهة نظره إلى أن تكون مراجعاً دقيقة للحملات، ولم تحتفظ بصورة تليق بهذا الفاتح الكبير. وهكذا فقد كان لكتابه موضوع محدد وهدف واضح، وكانت نتيجة ذلك، فيما يتعلق بموضوعنا، أن إشاراته إلى بلاد العرب تتصف بالقلة وبالإيجاز وبالتركيز على أعمال الإسكندر فى المنطقة. وإذا أضفنا إلى ذلك منهجه الذى لا يميل فيه إلى الاستطراد، سيتبين أيضاً السبب فى أن تلك الإشارات تفتقر إلى التنوع فى المعلومات الذى لاحظناه عند

هيرودوتوس. وعلى الرغم من ذلك فإن حديث أريانوس عن شبه الجزيرة يتضمن ذكراً مفصلاً لموضوعين مهمين من حيث مداهما ونتائجهما: ويتعلق أولهما بصدام عسكرىّ وحضارىّ مباشر بين اليونانيين والعرب هو الأول من نوعه فى تاريخ العلاقات بين الأمتين، ويتعلق الآخر بمحاولات جادة من جانب اليونانيين لاستكشاف سواحل شبه الجزيرة وللدوران حولها. وتدل الأحداث التاريخية فى المرحلة التى أعقبت حملات الإسكندر على عمق تأثير هذين العاملين على وجه الخصوص فى تشكيل المسار الحضارىّ لشبه الجزيرة العربية، وفى تحديد طبيعة العلاقات بينها وبين دول الشرق الأدنى المجاورة لها.

وترد أول إشارات أريانوس إلى بلاد العرب فى معرض حديثه عن محاولات الإسكندر السيطرة على منطقة فلسطين، بعد نجاحه فى إخضاع صور وما جاورها من مدن فينيقيا. لقد قام الإسكندر وبصحبته بعض الفرسان بحملة على جبل أنتيليبانوس فى "بلاد العرب،" وتمكن فى خلال عشرة أيام من فرض نفوذه، سواء بالقوة أم بعقد الاتفاقيات، على المنطقة الواقعة بالقرب منه.(٦٧) وبينما يرى أحد الدارسين أن وصف أريانوس للجبل بأنه يقع فى بلاد العرب يفتقر إلى الدقة، فإنه يمكن القول، على الرغم من ذلك، بأنه وصف يؤكد استيطان العرب لمنطقة بادية الشام فى تلك الآونة، وأن ذلك الجبل كان يشكل على أقل تقدير الحدود الغربية للمنطقة التى يقيمون بها فى الشام.(٦٨) بعد ذلك اتجه الإسكندر إلى الجنوب، ولم يلق مقاومة تذكر من أىّ من مدن المنطقة، باستثناء مدينة غزة.

لقد استطرد أريانوس فى الحديث عن مقاومة مدينة غزة للإسكندر وفى وصف كيفية استيلاء الأخير عليها. ويتبين مما يذكره هذا المؤرخ من أن "الهدف التالى للإسكندر [أىّ: عقب إخضاعه فينيقيا] كان يتمثل فى ضم مصر،"(٦٩) وهو الأمر الذى يؤكده أيضاً حيث يقول بعد الحديث عن حصار غزة إن "الإسكندر اتجه بعد ذلك إلى مصر، التى كانت الهدف الأصلىّ وراء اتجاهه جنوباً."(٧٠) وهكذا فإن فتح غزة لم يكن أمراً مقصوداً لذاته، وإن

كان على الرغم من ذلك ضرورياً حتى يتيسر للإسكندر الوصول إلى مصر. ويصف أريانوس استعدادات المدينة لمقاومة الإسكندر وموقعها الحصين، قائلاً:(٧١)

> لقد كان حاكم هذه المدينة رجلاً خصياً يدعى باتيس Batis، ورفض تسليم المدينة للإسكندر. وكان باتيس قد أعد جيشاً من الجنود المرتزقة العرب مثلما جهز مخزوناً كافياً لحصار طويل الأمد، وبالإضافة إلى ذلك شجعته ثقته بأن المدينة أقوى من أن يتمكن أحد من الاستيلاء عليها على رفض السماح للإسكندر بدخولها. وتقع مدينة غزة على بعد حوالى ميلين ونصف من البحر، ويمر الطريق المفضى إليها من جانب البحر عبر رمال عميقة، كما أن ساحل البحر بمحاذاتها يتصف بضحالته التى تعوق الملاحة. وكانت المدينة كبيرة ومقامة على تل مرتفع يقع على حافة الصحراء، وعلى الطريق المتجه جنوباً من فينيقيا إلى مصر.

وبينما يمكن أن نرى فى اسم باتيس تحريفاً يونانياً لاسم عربىّ هو باطش،(٧٢) وهو اسم يليق فى حقيقة الأمر بحاكم، فإن بمقدورنا أيضاً أن نغض الطرف عما يذكره أريانوس عن كونه خصىّ. لقد سمع باطش بدون شك عن الانتصارات التى أحرزها الإسكندر على الملك الفارسىّ، وعن حصاره لمدينة صور الذى استمر سبعة أشهر قبل أن يتمكن فى النهاية من دخولها، وعلى الرغم من ذلك لم تجعله هذه الانتصارات يبادر بإعلان الخضوع للقائد اليونانىّ. وتبدو مبررات أريانوس وراء اختيار باطش مقاومة الإسكندر مبررات مقبولة، إلا أنه يمكن أن نضيف إليها عاملاً آخر ربما كان أكثر أهمية وهو إدراك حاكم غزة أن ما سيفقده بإعلان الخضوع لن يقل عما سيفقده بالمقاومة. لقد كان باطش يدرك ولا شك أن وقوع المدينة فى يد الإسكندر يعنى نهاية ما كانت تتمتع به من استقلال وازدهار تجارىّ.(٧٣)

وحينما علم الإسكندر برفض باطش فتح أبواب المدينة لاستقباله سار بقواته حتى وقف بها أمام جانب المدينة الذى تسهل مهاجمته أكثر من غيره، وأمر بجمع أدوات الحصار. بعد ذلك عقد الإسكندر مجلساً لقادته الذين عبّروا عن شكهم فى إمكانية مهاجمة المدينة نظراً لارتفاع التل المقامة عليه، إلا أنه أصر على مهاجمتها لأنه "كلما زاد مقدار الصعوبة، أصبح من المحتم

مواجهتها.» ويوضح أريانوس صعوبة التحدى الذى واجهه الإسكندر عندئذ من إشارته فى الفقرة ذاتها إلى أن الإسكندر كان لا يرى فى فتح المدينة مجرد انتصار على قائد معارض، بل كان يراه فى إطار الهدف الذى خرج من أجله من بلاد اليونان: «لأن انتصاراً يفوق المنطق والقدرة على التحقيق سوف يكون ضربة قاصمة لمعنويات الأعداء، بينما سيكون الفشل، بمجرد أن يعرف به داريوس [الإمبراطور الفارسىّ] واليونانيون، ضربة لا تقل تأثيراً بالنسبة لمكانته.»(٧٤)

وتمثلت خطة الإسكندر للاستيلاء على المدينة فى رفع مستوى الأرض بمحاذاة أسوارها حتى تصل إلى ارتفاع يتيح له أن يضع أدوات حصاره لمهاجمتها. وأمر بعمل ذلك خاصة فى الجزء الجنوبىّ لما تراءى له من أن مهاجمة الأسوار فى ذلك الموضع أسهل من مهاجمتها فى أىّ مكان آخر. وعندما ارتفعت الأرض إلى المستوى المطلوب ووضعت أدوات الحصار وأصبحت جاهزة للهجوم، قام الإسكندر بتقديم القرابين للآلهة استعداداً للقتال. وعندما بدأ الهجوم أخذ الإسكندر يراقب ما يجرى من مكان قريب لمدة من الوقت، حتى لاحظ أن المدافعين العرب يحاولون جاهدين إشعال النار فى أدوات الحصار، وأن هجومهم القوىّ بالقذائف التى يوجهونها من موقعهم المشرف على المحاصرين كاد ينجح فى جعل المقدونيين يتراجعون أسفل المكان المرتفع الذى اقاموه. عندئذ سارع الإسكندر بالذهاب لتعضيد جنوده فى المكان الذى يعانون فيه من الهجوم أكثر من غيره، وأتت مساعدته لهؤلاء الجنود فى وقتها؛ إذ أنها ساعدتهم على الاحتفاظ بمواقعهم. وفى أثناء ذلك جرح الإسكندر جرحاً بليغاً استغرق شفاؤه وقتاً طويلاً.(٧٥)

ويتبين من ذلك الوصف لأول محاولة للإسكندر لغزو المدينة أنها لم تحقق أهدافها، مثلما أنها اضطرته إلى تغيير خطته فى مهاجمتها، وإلى انتظار أدوات الحصار التى سبق له استخدامها فى الاستيلاء على مدينة صور الفينيقية. ويبين أريانوس بقدر كبير من التفصيل ضخامة الاستعدادات التى قام بها الإسكندر، والصعوبات التى واجهها هو وجنوده، حتى تيسر لهم فى

النهاية الاستيلاء عليها، قائلاً:(٧٦)

لقد أمر الإسكندر برفع مستوى الأرض بارتفاع قدره حوالى سبعة عشر متراً وبعرض قدره حوالى أربعمائة متراً حول المدينة بأكملها. بعد ذلك تم تركيب المعدات القاذفة وتم وضعها على ذلك الارتفاع وأصبحت جاهزة للعمل. وألحقت أضرار جسيمة بالأسوار فى امتداداتها الطويلة نظراً لحفر عدد من الخنادق العميقة، ولإزالة التراب من تحتها دون أن يلحظ الأعداء ذلك، وكانت النتيجة أن انهارت الأسوار وتحطمت فى عديد من الأماكن لأنه لا يوجد ما يدعمها. وبدأ المقدونيون فى إطلاق وابل من القذائف، وسرعان ما أصبحوا يسيطرون على قطاع كبير بعد أن تمكنوا من جعل المدافعين يتخلون عن مواقعهم بأبراج المدينة. وقد نجح رجال مدينة غزة فى صد ثلاث محاولات للهجوم بشجاعة، على الرغم مما لحق بهم من خسائر فادحة فى الرجال ما بين جرحى وقتلى. إلا أن الإسكندر، فى المحاولة الرابعة، جعل الجزء الأساسىّ من مشاته الثقيلة يشارك فى القتال حول كافة جوانب المدينة. من ناحية أخرى تهدمت الأسوار أو فتحت فيها فتحات واسعة فى المواضع التى حفرت تحتها الخنادق بسبب ما ألقى عليها من قذائف. وهكذا أصبح من السهل وضع سلالم على أماكن الدفاع المتهدمة، وبالتالى تيسرت محاولة دخول المدينة عنوة. وبمجرد أن ثبتت السلالم فى مواضعها تنافس كل من يدعى قدراً من الشجاعة من الجنود المقدونيين مع زملائه حتى يكون أول الصاعدين.... وبمجرد أن تمكنت الفرق الأولى من اختراق التحصينات، قامت بفتح كافة البوابات التى عثرت عليها، ومهدت الطريق لدخول ما تبقى من الجيش إلى المدينة.

وعلى الرغم من ذلك، وعلى الرغم من أن المدينة فتحت أبوابها، ظل المدافعون يقاتلون متكاتفين إلى جوار بعضهم البعض حتى آخر رجل، وحتى لقى كل واحد منهم حتفه فى موضعه الذى يدافع فيه. وأعقب ذلك بيع نسائهم وأطفالهم بوصفهم عبيداً. كذلك تم توطين أناس من القبائل المجاورة فى المدينة التى جعلها الإسكندر مركز تحصينات للعمليات التالية فى المستقبل.

إن اهتمام أريانوس بتفصيلات الاستيلاء على غزة يجعل من هذا الفتح عملاً لا يقل أهمية عما قام به الإسكندر عند استيلائه على صور، التى يتحدث عنها وعن حصارها أيضاً بقدر كبير من التفصيل.(٧٧) وفى حقيقة الأمر كانت

غزة من أكبر المدن فى شرق البحر المتوسط، ولا شك فى أن شهرتها كمدينة تجارية عربية كانت معروفة لليونانيين الذين كان بمقدورهم أيضاً الاطلاع على ما ذكره هيرودوتوس عنها قبل قرن ونصف تقريباً. وقد أدى فتح الإسكندر للمدينة إلى حصوله على مقدار كبير من الطيوب والبخور التى كانت بمخازنها، مثلما أدى إلى تحكمه فى تلك التجارة التى كان يحتكرها العرب ويحتاجها اليونانيون.(٧٨)

بمقدورنا أيضاً أن نتلمس أهمية فتح غزة ونتائج الفتح بالنسبة لمشروعات الإسكندر التالية فى فقرتين أشار فيهما أريانوس بعد ذلك إلى بلاد العرب. وفى الفقرة الأولى يوضح أريانوس أن الوالى الفارسىّ على مصر، مازاكيس، سلم البلاد للإسكندر بعد أن لاحظ الانتصارات التى حققها الأخير فى كافة المواقع التى خاضها، وكذلك نجاحه فى ضم ولايات كثيرة من بينها "غالبية بلاد العرب."(٧٩) أما الإشارة الأخرى فتَرِد فى أثناء الحديث عن تمرد جنود الإسكندر فى الهند ورفضهم مواصلة الحملات شرقاً نظراً لبعدهم عن موطنهم ولطول أمد القتال. لقد تحدث الإسكندر إلى هؤلاء الجنود مشجعاً إياهم على مواصلة الحملات، وأشار إلى المناطق والبلدان التى فتحوها بشجاعتهم، والتى من بينها "غالبية بلاد العرب."(٨٠) وبينما يمكن أن نرى فيما ورد على لسان أريانوس تكراراً لما ذكره الإسكندر، على الرغم من أن تعبير أريانوس يرد أولاً، فمن الضرورىّ ملاحظة المبالغة التى يتضمنها هذا القول، وهى مبالغة تبررها طبيعة الظروف التى ألقيت فيها خطبة الإسكندر. وفى كلتا الحالتين، فإن الإشارة توضح أهمية فتح مدينة غزة، مثلما توضح أنها كانت تمثل واجهة بلاد العرب بالنسبة لليونانيين وللإسكندر، الذى كان عليه أن ينتظر نتائج محاولات الدوران حول سواحل شبه الجزيرة ليدرك مدى اتساعها.

وتمثل مشروعات الإسكندر بشأن بلاد العرب ذاتها الموضوع الآخر المهم الذى يذكره أريانوس ببعض التفصيل. ويذكر مؤرخنا هنا أن الإسكندر فى أثناء عودته من الهند، وبعد أن وصل إلى مدينتى بسارجادى وبيرسيبوليس فى إيران، شعر برغبة قوية فى أن يبحر جنوب نهرى الفرات ودجلة إلى

الخليج الفارسيّ. ولأنه كان قد رأى من قبل مصب نهر الهند والبحار الواقعة فيما وراءه، فقد ودّ عندئذ أن يفعل الشئ نفسه بالنسبة لهذين النهرين. ويضيف أريانوس أن الإسكندر كان ينوى أن يبحر حول شبه الجزيرة العربية وإثيوبيا وليبيا وغيرها من البلدان الأخرى حتى يستطيع أن يحمل عن جدارة لقب ملك كافة الأراضى الآسيوية، على عكس الملوك الفارسيين الذين حملوا لقب الملك المعظم دون وجه حق، لأنهم كانوا يحكمون فقط جزءاً من هذه القارة. ويتضح من حديث أريانوس هنا أن الآراء تتفاوت بشأن مشروعات الإسكندر، وأن المصادر القديمة لا تجمع على طبيعتها، وأن أريانوس ذاته لم يجد من المعلومات ما يحدد نية الإسكندر بدقة. ومع ذلك فإنه يؤكد أن تلك المشروعات "ما كانت لتفتقر إلى المهابة والطموح، فما كان الإسكندر بالذى يركن إلى السكون ويستمتع بما حققه من فتوحات، حتى لو توسع فى فتوحاته لتشمل آسيا وأوربا، وبعدها الجزر البريطانية."(٨١) ويوضح أريانوس الدوافع التى جعلت الإسكندر يهتم بإرسال قواته للسيطرة على بلاد العرب، والتفاوت القائم بشأنها بين المؤرخين، قائلاً:(٨٢)

> لقد كانت هذه التجهيزات البحرية موجهة ضد العرب المقيمين على السواحل، لأنهم كانوا - على ما يبدو - الجماعات الوحيدة فى تلك المنطقة (*monoi twn tautei Barbarwn*) التى لم ترسل أية وفود لمقابلة الإسكندر، ولم تعبر عن احترامها له بأية وسيلة أخرى من وسائل الدبلوماسية المعتادة، وإن كان السبب الفعلىّ (*ho de alethes*) وراء تلك الاستعدادات هو فى اعتقادى (*hws de moi dokei*) تعطش الإسكندر غير المحدود لتوسعة رقعة ممتلكاته.
>
> إن بعض الروايات تشير إلى أن الإسكندر سمع أن العرب يتعبدون لإلهين اثنين لا ثالث لهما هما يورانوس وديونيسوس، والأول لأنه يُعتقد أنه يحتوى فى داخله ليس فقط على النجوم، ولكن على الشمس أيضاً، وهى أعظم وأوضح مصدر للخير للبشر جميعاً فى كافة شؤونهم، أما الآخر - ديونيسوس - فبسبب شهرة الرحلة التى قام بها إلى الهند. ولهذا فقد شعر الإسكندر بأنه لن ينال ما لا يستحق إذا ما نظر إليه العرب بوصفه إلهاً ثالثاً؛ فى ضوء حقيقة إن إنجازاته فاقت إنجازات ديونيسوس، أو لأنه - على الأقل - سيستحق ذلك التقدير إذا ما انتصر على العرب وسمح لهم أن يحتفظوا بنظمهم المتوارثة، كما فعل

مع الهنود من قبل. وبالإضافة إلى ذلك فإن ثروة بلادهم كانت حافزاً إضافياً، فالكاسيا فى الواحات، والأشجار التى تنتج البخور والمر، والشجيرات التى تغل القرفة، والمروج التى ينمو فيها الطيب بشكل طبيعىّ، كلها أشياء أخبرته عنها الروايات. كذلك فإن بلاد العرب مترامية الأطراف، فسواحلها لا تقل فى طولها، كما قيل، عن سواحل الهند، ويواجهها عدد كبير من الجزر، مثلما أن هناك موانئ فى كل مكان تصلح لرسو الأسطول، وتصلح لأن تكون مواقع لمستوطنات جديدة ذات فرصة كبيرة لأن تصل إلى درجة كبيرة من الازدهار والرخاء.

كذلك فقد بلغ مسامع الإسكندر أن هناك جزيرتان مواجهتان لمصب نهر الفرات، وأن مكان إحداهما قريب نوعاً ما، على مبعدة خمسة عشر ميلاً تقريباً من ذلك الموضع الساحلىّ الذى تلتقى فيه مياه النهر بمياه البحر. وهذه الجزيرة هى أصغر الاثنتين، وتملؤها الغابات وتحتوى على معبد لآرتميس يقوم على خدمته بشكل منتظم سكان الجزيرة أنفسهم، كما تجد عليها الغزلان والماعز البرية ما تحتاجه من كلأ. ولأن هذه الحيوانات مقدسة للإلهة فمن المحرم اصطيادها لغرض آخر غير القرابين، فلهذا السبب وحده يُرفع حظر اصطيادها. ويذكر أريستوبولوس أن الإسكندر أصدر أوامره بتسمية هذه الجزيرة إيكاروس، على غرار الجزيرة الإيجية التى تحمل نفس الاسم، والتى وقع عليها إيكاروس الأسطورىّ....

أما الجزيرة الأخرى فتعرف باسم تيلوس، وتقع بعيداً عن مصب نهر الفرات على مسافة يمكن أن تقطعها سفينة مبحرة فى يوم وليلة. وهى جزيرة كبيرة نوعاً ما، وغالبية أرجائها لا هى بالبرية ولا هى بالتى تملؤها الغابات، بل مناسبة لإنتاج كافة أنواع المحاصيل المزروعة فى فصولها الملائمة.

تمثل هذه الفقرة المقتبسة من أريانوس أطول الأماكن التى يتحدث فيها عن شبه الجزيرة العربية، وربما أيضاً أكثرها أهمية فى الوقت ذاته. وفيما يتعلق بموضوعنا فإنه يمكن ملاحظة أنها توضح أمرين: أولهما هو الزيادة الواضحة فى معلومات اليونانيين عن شبه الجزيرة وعن حدودها الشرقية على وجه التحديد، والكيفية التى حصلوا بها على هذه المعلومات، وآخرهما يتعلق بحقيقة مشروعات الإسكندر بالنسبة للمنطقة، والتى كانت مؤشراً لاهتمام واضح بها بدأه هذا القائد (وواصله من بعده الملوك البطالمة والسليوقيون فى

العصر المتأغرق).

وفيما يتعلق بالأمر الأول فإن بعض المعلومات الواردة فى هذه الفقرات مصدرها أريستوبولوس، أحد أهم مصدرين لأريانوس الذى يستطرد بعد ذلك مبيناً أن البعض الآخر مصدره المحاولات التى قام بها الإسكندر للتعرف على المنطقة بشكل مباشر. "فبعض هذه المعلومات حصل عليها الإسكندر من أرخياس، الذى تم إرساله فى سفينة كبيرة للتعرف على الساحل لأجل الحملة المرتقبة ضد بلاد العرب." وقد وصل أرخياس هذا إلى جزيرة تيلوس ولكنه لم يغامر بالإبحار بعدها. أما أندروستينيس الذى قاد سفينة أخرى للغرض نفسه فقد وصل إلى مكان أبعد مما وصل إليه سابقه. بعد ذلك أحرزت محاولة هيرون القائد البحرىّ تقدماً أكبر مما حققته محاولة القائدين السابقين.(٨٣)

ويتبين مما يذكره أريانوس فى تعليقه على محاولة هيرون أن صاحبها أفاد مما تم جمعه من معلومات فى المرتين السابقتين، وأن الإسكندر كان يطمح فى حقيقة الأمر إلى ما هو أكثر من ذلك. لقد كانت مهمة هيرون أن يدور حول شبه الجزيرة بأكملها حتى يصل إلى مدينة هيروؤبوليس المصرية المطلة على البحر الأحمر، إلا أن شجاعته خانته وعاد أدراجه، كما يقول أريانوس، على الرغم من أنه أبحر حول الجزء الأكبر من الساحل العربىّ. وبرر هيرون للإسكندر عودته دون أن يكمل الرحلة، موضحاً أن شبه الجزيرة ذات مساحة ضخمة، وأنها تكاد تقترب فى مساحتها من الهند، وأن جزءاً كبيراً منها يمتد إلى مسافة كبيرة فى المحيط. ويحدد الدارسون الجزء الذى وصل إليه هيرون بأنه رأس موساندوم (رأس الخيمة الحالية) وهو موقع سبق لنيارخوس المرور به ومشاهدته عن بعد فى أثناء عودته بالأسطول من الهند، قبل أن يغير اتجاهه إلى الخليج الفارسىّ.(٨٤)

لقد كاد نيارخوس أن يتوقف عند ذلك المكان، كما نصحه بذلك ناضورجى سفينته أونيسيكريتوس، إلا أنه رفض ذلك فى النهاية لأنه كان عليه أن يعطى تقريراً للإسكندر بعد انتهاء الرحلة التى لم يكن هدفها استكشاف

المحيط. فمهمة نيارخوس كما أوضحها فى كتابه، الذى اعتمد عليه أريانوس، تمثلت فى التعرف على الساحل الفارسىّ وفى جمع معلومات عن سكانه وعن أسلوب معيشتهم وعن مدى خصوبة الأراضى المجاورة له، وعن الأماكن التى يمكن الوقوف عندها بالأسطول والحصول منها على المياه العذبة. ومن الطريف أن أريانوس يعلق على ما فعله نيارخوس قائلاً إن هذا هو ما ساعد أسطول الإسكندر على العودة فى سلام، فما كان ليفيده شيئاً أن يقود الأسطول إلى الساحل الصحراوىّ لبلاد العرب (كما تبين من محاولات أرخياس ومن تلاه من البحارة فيما بعد، بطبيعة الحال)، مثلما أن هذا هو عين السبب الذى جعل هيرون يعود أدراجه فيما يُروى.(٨٥)

وهكذا فإن ما يذكره أريانوس عن حملات الإسكندر البحرية المتكررة والهادفة إلى التعرف على سواحل الجزيرة أمر له دلالته المهمة، التى تتأكد أيضاً من طبيعة المعلومات التى كلف قادته بالحصول عليها. فهذه الحملات هى الأولى من نوعها التى قام بها اليونانيون للتعرف على المنطقة وبغرض السيطرة عليها. ولأن قادة هذه الحملات كتبوا تقاريراً عنها، مثلما أنهم اهتموا فيها بذكر كافة ما حصلوا عليه من معلومات، فإن ما سجلوه عن هذا الجزء من بلاد العرب يمثل تطوراً واضحاً فى معرفة اليونانيين بالمنطقة، ويتميز بأنه كان نتاجاً لاحتكاك مباشر وعلى نطاق أوسع من ذى قبل. كذلك فإنه يمكن - بطبيعة الحال - الاطمئنان إلى المعلومات التى يذكرها أريانوس هنا والتى تزداد قيمتها فى ضوء أن كثيراً من التقارير التى اعتمد عليها والتى كتبها هؤلاء القادة قد فقدت.

لقد أشار أريانوس إلى أن العرب يتعبدون لإلهين اثنين لا ثالث لهما هما يورانوس وديونيسوس، وهى إشارة تذكرنا بما قاله هيرودوتوس عن ديانتهم من قبل. ومع ذلك، ومع احتمال أنه يكرر هنا بعض ما ذكره هيرودوتوس عن هذا الموضوع، فإنه يمكن أيضاً ملاحظة أن أريانوس يشير إلى يورانوس بصيغة المذكر، وأنه يشير بعد ذلك إلى إلهة ثالثة هى آرتميس التى يوجد معبدها على الجزيرة التى أطلق عليها الإسكندر اسم إيكاروس.

ويمثل هذا الحديث عن الإلهة، وعن تقديس السكان للماعز التى توجد على الجزيرة إجلالاً لها، إضافة لما ذكره هيرودوتوس عن ديانة بلاد العرب من قبل.

ونستطيع أن نتبين من ذلك، وعلى أساس الأسلوب المقتضب الذى اتبعه أريانوس فى سرده لتلك الأحداث، أن هذه المعلومات تمثل قدراً ضئيلاً مما توفر لبنى جنسه وقتها من معلومات عن المنطقة وعن سكانها. وهناك إشارتان ترد أولاهما فى معرض حديثه عن مشروعات الإسكندر فى جنوب العراق حيث يذكر أريانوس أن البحيرات والمستنقعات تغطى فيه مساحات شاسعة وتمتد تقريباً "إلى داخل بلاد العرب."(٨٦) أما الإشارة الأخرى فيتضمنها حديثه عن عودة الإسكندر من الهند إلى بابل. فبينما كان نيارخوس ينتظر فى مدينة بَتّالا تحسن الظروف الجوية للإبحار بأسطوله، سار الإسكندر بقواته متجهاً إلى "النهر العربىّ" وسار بمحاذاته متجهاً إلى الساحل ثم اتجه بعد ذلك إلى الغرب. وفى أثناء سيره مرّ بقبيلة الأوريتاى وهى "قبيلة محلية هندية" لم تبادر بإظهار أىّ ترحيب به. بعد ذلك مرّ الإسكندر بقبيلة "العرب" وهى "قبيلة أخرى مستقلة [تقيم] بالقرب من النهر العربىّ." وعلى الرغم من أن أهل هذه القبيلة لم يكونوا أنداداً للإسكندر، فإنهم لم يستسلموا عندما علموا باقترابه، بل رحلوا موغلين فى البرية. وقد أتاح رحيلهم له أن يعبر ليلاً النهر الذى كان مجرد رافد ضحل.(٨٧)

إن التسميات التى يطلقها أريانوس على النهر وعلى القبيلة العربية المستقلة المقيمة إلى جواره، والتى حرص على التمييز بينها وبين "القبيلة المحلية الهندية،" تدل على أن بعض سكان الجزيرة العربية عرفوا طريقهم إلى هذه المنطقة من القارة الآسيوية حوالى منتصف الألف الأخيرة قبل الميلاد. ربما لا يمكن تحديد الأماكن التى أتى منها هؤلاء السكان من بلاد العرب أو الطريق التى سلكوها على وجه الدقة، إلا أنه يمكن بكل تأكيد النظر إلى تلك المستوطنات العربية فى إطار النشاط التجارىّ الواسع النطاق للدولة السبأية القائمة آنذاك فى جنوب غرب الجزيرة، ولسكان الجزيرة بشكل عام.(٨٨)

الأمر الآخر الذى يتوجب التوقف عنده فى الفقرة السابقة المقتبسة من أريانوس هو حقيقة مشروعات الإسكندر بشأن شبه الجزيرة وكيفية تطورها. ومن المهم بهذا الخصوص أن نلحظ، فيما يتعلق بخط سير حملات الإسكندر، أن فتح غزة كان فى الأعوام الأولى من هذه الحملات، وأن محاولاته السيطرة على شبه الجزيرة، أو على حدودها الشرقية، كانت فى الأعوام الأخيرة منها. كذلك فإن تلك المحاولات كانت نتاجاً طبيعياً للكيفية التى سارت بها حملات هذا القائد، وللانتصارات التى أحرزها. لقد كان هدفه فى البداية هو التوسع على حساب الإمبراطورية الفارسية التى كانت تمتد آنذاك حتى حدود آسيا الصغرى الغربية وتشتمل على منطقة بلاد الرافدين والشام، وكان هذا الهدف تحت ستار الثأر لليونانيين لما لحق ببلادهم من دمار فى الحروب الفارسية التى تحدث عنها هيرودوتوس، والتى من الطريف أن نتذكر أنها سبقت الإسكندر بحوالى قرن ونصف تقريباً. ويمكن القول بأن هذا الهدف ظل الدافع وراء أعمال الإسكندر حتى موقعة جوجاميلا عام ٣٣١ ق.م، التى تمكن بعدها من دخول العاصمة الفارسية ذاتها. وتتضح أهمية فتح غزة فى ذلك الوقت تحديداً (عام ٣٣٢ ق.م) من أنها تقع على طريق الإسكندر إلى مصر التى كانت تابعة أيضاً للإمبراطور الفارسىّ، والتى كان ضمها أمراً لا بد منه إذا ما كان للإسكندر أن يحقق الهدف الذى خرج من أجله من بلاد اليونان. وينسب أريانوس ذاته إلى الإسكندر يقول فيها الأخير قبل فتحه لمدينة صور:(٨٩)

> إننى لا أرى وسيلة يمكننا بها الوصول إلى مصر بأمان طالما أن الفرس يتحكمون فى البحر، مثلما أن تعقب داريوس ومدينة صور المحايدة من خلفنا ومصر وقبرص ما تزالان فى أيدى أعدائنا سوف يكون مجازفة غير مأمونة العواقب، خاصة مع مراعاة الموقف فى بلاد اليونان.

من ناحية أخرى تأتى محاولة الإسكندر السيطرة على بقية أرجاء شبه الجزيرة بعد أن قضى على الإمبراطورية الفارسية، وبعد أن دانت له المناطق التابعة لها، وبعد أن امتدت حدود ممتلكاته حتى رفض جنوده أنفسهم أية محاولات جديدة من جانبه للتوسع. وبينما يتبين من تكرار الحملات البحرية

التى أرسلها إلى شواطئ شبه الجزيرة أنه بدأ يتجه إلى إحكام قبضته على ما مرّ به من مناطق، فلا شك فى أن وفاته المفاجئة التى نجم عنها توقف تلك الحملات هى السبب فى تفاوت الآراء بشأن مشروعاته المتعلقة ببلاد العرب. ولعل هذا التفاوت من ناحية، ورغبة أريانوس فى تحرى الدقة من ناحية أخرى، هما اللذان جعلاه لا يذكر أن الإسكندر كان ينوى أن يجعل من بلاد العرب مقراً لعاصمة الإمبراطورية التى فتحها، الأمر الذى يذكره استرابون، على سبيل المثال.(٩٠) ومع ذلك، وحتى إذا رفضنا مع أريانوس هذه الفكرة، فإن الخطوات الجادة التى قام بها الإسكندر تجاه تعمير الخليج الفارسىّ تدل على فهمه أن السيطرة على السواحل الشرقية لبلاد العرب كانت أمراً لا بد منه لإحكام قبضته عليها، بعد أن تحكم بفتحه غزة فى الطريق المارّ بغربها.(٩١)

يؤكد ذلك بعض أعمال الإسكندر الأخرى الدالة على أنه كان يعلم بمسارات الطرق التجارية بين الشرق والغرب المعروفة وقتئذ، والتى كان يسعى للسيطرة عليها، وعلى أنه كانت لديه أيضاً أفكاره الخاصة بشأن تطوير بعضها. لقد أحس الإسكندر أن السدود التى أقامها الفرس جنوب نهرى دجلة والفرات يمكن أن تعوق طريق الملاحة عبر هذين النهرين، فأمر بإزالة بعضها وبتنظيم الرى بالمنطقة بشكل مختلف يتيح للسفن أن تبحر من الخليج العربىّ صاعدة هذين النهرين، مثلما اهتم ببناء مرسى كبير للسفن فى مدينة بابل تمهيداً لجعلها ميناء نهرياً مهماً.(٩٢) ويعنى تنفيذ هذه الخطة أن تتمكن السفن الآتية من الهند من الإبحار شمالاً عبر الخليج فنهر الفرات، حيث تُنقل المواد التجارية بعد ذلك عبر أضيق مسافة برية ممكنة إلى ساحل البحر المتوسط فالعالم اليونانىّ. كذلك تدل المحاولة التى قام بها الإسكندر لاستكشاف الساحل الغربىّ لشبه الجزيرة على أنه كان ينوى أيضاً أن يجعل الطريق التجارىّ المارّ بغرب شبه الجزيرة العربية بحرياً بكامله. لقد أمر بحاراً يدعى أناكسيكراتيس أن يبحر من ميناء السويس جنوب البحر الأحمر وأن يدور حول ساحلها الجنوبىّ،(٩٣) وربما أن ذلك كان فى الوقت نفسه الذى أمر فيه هيرون أن يدور حولها من الجانب الغربىّ. حقيقة إن

أناكسيكراتيس لم يكمل رحلته وعاد أدراجه من باب المندب، وإن وفاة قائده حالت دون تكرار مثل هذه المحاولات لما يقرب من مائتى عام بعد ذلك التاريخ، ولكن دلالات الفكرة بالنسبة لمشروعات الإسكندر المتعلقة ببلاد العرب تجعلها تتسم بوضوح الرؤية. وإذا نظرنا إلى هذه المشروعات فى ضوء ما كان يقوم به الإسكندر فعلاً فى الخليج العربىّ وفى بلاد الرافدين فسيتأكد عندئذ أن ضم بلاد العرب للإمبراطورية أو أن السيطرة على سواحلها على أقل تقدير، كانت أمراً يسعى إليه هذا القائد بخطى حثيثة وواثقة، وأن دوافعه وراء ذلك كانت دوافعاً استراتيجية واقتصادية فى المقام الأول.

لقد توفى الإسكندر الأكبر فجأة فى بابل عام ٣٢٣ ق.م، ومات معه بدون شك عدد كبير من الأفكار والمشروعات التى لم يكن يشاركه الرأى فيها جنوده وقادته، والتى لم يكن بمقدورهم أيضاً تنفيذها. وبعد وفاته تأسست الدولة السليوقية على الحدود الشمالية لبلاد العرب، وتأسست فى مصر الدولة البطلمية. وترتبط علاقات بلاد العرب وما كان بها من دويلات وممالك بهاتين الدولتين طوال الثلاثة قرون التى أعقبت وفاة الإسكندر، الذى كانت حملاته هى الحدث التاريخىّ الذى أتاح وجود هذه العلاقات فى المقام الأول، كما يتبين من حديث أريانوس، ارتباطاً قوياً إلى حد أنه يمكن النظر إلى أحداث هذه المرحلة من خلال إطار يجمع بين هذه الأطراف الثلاثة ويوضح قوة التأثير الذى كان لكل طرف منها على الآخر، وقوة تأثره به.(٩٤)

الحواشى

١) أطلق هيرودوتوس على المنطقة التى سكنها العرب فى العصور القديمة اسم "أرابيا" (*Arabia*)، التى يمكن ترجمتها اصطلاحياً بمعنى بلاد العرب، والتى يتعارف الدارسون على تسميتها شبه الجزيرة العربية، أو الجزيرة العربية. وفى هذه الدراسة سوف نستخدم هذه التسميات بالدلالة نفسها دون أية إشارة إلى الحدود السياسية القائمة حالياً، ومع مراعاة أن حدود المنطقة كانت تشتمل فى العصور القديمة على بعض المناطق الشمالية والشمالية الغربية التى تشكل امتداداً طبيعياً لها، والتى سكنتها بعض القبائل العربية فى المرحلة التاريخية التى يتناولها البحث بالدراسة. راجع G. W. Bowersock, *Roman Arabia*, London, 1983, 1 الذى يلحظ أن كلمة "أرابيا" فى كتابات المؤرخين اليونانيين والرومان تفتقر إلى الوضوح: "Arabia is a vague word...."

٢) انظر الدكتور لطفى عبد الوهاب يحى، "الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية،" فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٧، صفحات ٥٥-٧١ (علماً بأن الاقتباس مأخوذ من ص ٥٥)، حيث يوضح أيضاً أن من أهم سمات هذه المرحلة تغير الأوضاع فى منطقة الشرق الأدنى من نطاق "أحادىّ" قوامه سيطرة إحدى القوى، إلى نطاق "ثنائىّ" قوامه الالتقاء والتفاعل بين المراكز الحضارية الموجودة فى منطقة الشرق الأدنىّ. وتقابل المرحلة المشار إليها ما نعرفه فى تاريخ بلاد اليونان بالعصر الكلاسيكىّ، أو القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد.

٣) ترد الإشارات إلى كتابات المؤرخين اليونانيين والرومان عادة فى سياق الحديث عن مصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، ولا تتعدى هذه الإشارات فى مناقشتها مجرد الأحكام العامة أو ذكر الأسماء فى بعض الأحيان. وينطبق ذلك بشكل عام على الكتابات التى قام بها دارسو التاريخ الإسلامىّ أو حتى التاريخ القديم، انظر على سبيل المثال الدكتور السيد عبد العزيز سالم، دراسات فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، الإسكندرية، ١٩٨٠، صفحات ٤٠-٤١، والدكتور محمد بيومى مهران، دراسات فى تاريخ العرب القديم، الإسكندرية، ١٩٩٣، صفحات ٣٣-٣٤ انظر أيضاً الدكتور عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، طبعة مزيدة ومنقحة، القاهرة، ١٩٩٤، صفحات ١٠-١١، قارن أيضاً

المعالجة الأكثر تفصيلاً التى أوردها جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثانى، الطبعة الثانية، بيروت-بغداد، ١٩٧٦، صفحات ٥-١٨ انظر كذلك الدكتور توفيق بَرّو، تاريخ العرب القديم، دمشق، ١٩٨٢، ص ١٨، وراجع أخيراً الإشارات المتفرقة فى الدراسة المعروفة: Ph. K. Hitti, *History of The Arabs,* 10th edition, London, 1970

٤) تعد هذه الدراسة (راجع الحاشية السابقة رقم ٢) من أوفى الدراسات التى تمت باللغة العربية حول هذا الموضوع وأدقها، بالإضافة إلى أن صاحبها متخصص فى حقل الدراسات اليونانية والرومانية. راجع أيضاً ما ذكره الباحث ذاته فى كتابه العرب فى العصور القديمة: مدخل حضارىّ فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٩، صفحات ١٩٥-٢٢٨

٥) انظر على سبيل المثال الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطرية فى العصرين اليونانىّ والرومانىّ، والدكتور نقولا زيادة، دليل البحر الإرثرى وتجارة الجزيرة العربية البحرية، وكذلك الدكتور سيد أحمد الناصرى، الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة، فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، الجزيرة العربية قبل الإسلام، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٩، صفحات ٢٠١-٢١٣، و ٢٥٩-٢٧٧، و ٤٠١-٤٢٨، على الترتيب. وراجع أيضاً مؤخراً الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد، النشاط التجارى للعرب القدماء خارج الجزيرة العربية من خلال النقوش العربية القديمة وروايات الكتاب الكلاسيكيين، فى: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربىّ على مر العصور، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، حصاد ٨، القاهرة، ٢٠٠٠، صفحات ١٧-٣١

٦) راجع الدكتورة سهير زكى بسيونى، ثيوفراستوس ونباتات شبه الجزيرة، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد ٤٢ (١٩٩٤/١٩٩٥)، صفحات ٣٤٣-٣٦٠

٧) وذلك من خلال مناقشة حملة أيليوس جاللوس، انظر الدكتور حسين الشيخ، حملة أيليوس جاللوس على اليمن، الندوة العلمية الثانية للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، القاهرة، ١٩٨٩

٨) انظر الدكتور محمود إبراهيم السعدنى، العرب عند ديودوروس: دراسة تحليلية، حصاد ٦: أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٩٩٨، صفحات ٤١-٨٦

٩) راجع الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، هردوت يتحدث عن العرب

وبلادهم، مجلة العصور، المجلد الثانى، الجزء الأول، ١٩٨٧، صفحات ٧-٢٢، وغنى عن القول إننا أفدنا فائدة جمة من تلك الدراسة فى مقالنا هذا.

١٠) راجع W. G. Waddell, *Herodotus Book II,* Letchworth, Hertfordshire, 1939, 6 الذى يناقش هذا الأمر على أساس الوحدة الموضوعية للكتاب الثانى من مؤلف هيرودوتوس، ولكونه يشكل استطراداً طويلاً بالنسبة لموضوعه الرئيس. انظر أيضاً Aubrey de Selincourt, *The World of Herodotus,* Boston, 1962, 31: Herodotus "had began it as separate accounts... but... he determined... to make his wide and various researches subserve a master plan... to tell the story of the Persian wars...."، ويضيف موضحاً أن هذه الخطة كانت تهدف إلى تمجيد الدور الذى قامت به أثينا فى هذه الحروب.

١١) كما يذكر هيرودوتوس ذاته فى الكتاب الأول، الفقرة الأولى. وعن تسمية الكتاب انظر لطفى عبد الوهاب يحى، اليونان: مقدمة فى التاريخ الحضارىّ، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٤٧ مع الحاشية ٢٣، وكذلك الباحث ذاته، الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية، ص ٥٦، وقارن مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ٨

١٢) عن حدود الإمبراطورية الفارسية فى ذلك الوقت انظر A. R. Burn, *Persia and the Greeks: The Defense of the West 546-478,* London, 1962, 28-34, 40-42, 84-90 وعن المساعدات التى قدمتها هذه الأماكن للحملة الفارسية راجع هيرودوتوس (٧:٦١-٩٩)

١٣) هيرودوتوس (٢:٨) راجع أيضاً الدكتور محمد صقر خفاجة، هرودوت يتحدث عن مصر، تقديم وشرح الدكتور أحمد بدوى، القاهرة، ١٩٦٦، صفحات ٧٨-٧٩ (علماً بأنه سيشار إلى هذا المرجع فيما بعد على أنه أحمد صقر خفاجة وأحمد بدوى)، وفيما يتعلق باتجاه هذه الجبال حسب وصف هيرودوتوس انظر Waddell, *op. cit.*, 125-126

١٤) هيرودوتوس (٢:١٦) راجع أيضاً محمد صقر خفاجة وأحمد بدوى، المرجع السابق، ص ٩١، وكذلك ص ٩٥ مع الحاشية رقم ٣

١٥) هيرودوتوس (٢:١١) وعن تسميته البحرَ الهندىّ بالبحر الأحمر، انظر Waddell, *op. cit.*, 129 راجع كذلك مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ٩، الذى يلحظ أن هيرودوتوس يخلط بين البحر الأحمر وبين خليج السويس فى إشارته إلى مدة النصف يوم.

١٦) هيرودوتوس (٢:١٥٨): *orwruktai de prwton en tou pediou tou Aiguptou ta pros*

Arabies ekhonta عن تاريخ هذه القناة والإشارات إليها فى المصادر القديمة راجع Waddell, *op. cit.*, 248

١٧) يوضح (Waddell, *op. cit.*, 249) أن استخدام هيرودوتوس لكلمة *aparti* التى تعنى "على وجه الدقة،" فى تحديده للمسافة قد جانبه الصواب، لأنها لا تزيد فى حقيقة الأمر عن خمسة وسبعين ميلاً، أىّ: ما يقل عن ستمائة استاديون. كذلك فإنه يعلق (فى الموضع ذاته) موضحاً أن عدد المصريين الذين ماتوا فى أثناء الحفر يبدو أيضاً مبالغاً فيه: "seems excessive"

١٨) هيرودوتوس (٢: ١٥٩) لقد تم إكمال هذه القناة فى عهد الملك الفارسىّ داريوس كما يوضح هيرودوتوس ذاته فى الفقرة السابقة. انظر كذلك مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، صفحات ١٠-١١

١٩) هيرودوتوس (٢:٧٥): *to de pedion touto sunaptei twi Aiguptwi pediwi* وعن موقع بوتو انظر محمد صقر خفاجة وأحمد بدوى، المرجع السابق، ص ١٨٠ (حيث يقترح أحمد بدوى أنها مدينة أخرى غير التى ذكرها هيرودوتوس فى الفقرات ٥٩، ٦٢، ١٥٥، من الكتاب ذاته)، وكذلك جواد على، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٥٥٢، الذى يلحظ توغل القبائل العربية فى طور سيناء "منذ القدم،" وأن هذه القبائل قد عرفت بالضرورة طريقها إلى مصر "فمن يصل إلى طور سيناء يكون قد طرق أبواب مصر." قارن أيضاً ما يذكره هيرودوتوس ذاته (٥:٣) عن كون هذه المنطقة الممر الطبيعىّ إلى مصر من الشرق.

٢٠) هيرودوتوس (٥:٣).

٢١) فيما يتعلق بكون كادوتيس اسم مدينة غزة القديم انظر A. D. Godley, *Herodotus: with an English Translation*, in *Loeb Classical Library*, vol. 2, p. 9, note 1، وكذلك Selincourt, *op. cit.*, 72 الذى يذكر أن اسمها القديم كان مينوا Minoa، وأن تأسيسها يرجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد، وقارن أيضاً D.B.Redford, *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times*, Cairo, 1992, 459 with note 139 الذى يلحظ أن كادوتيس هو الاسم المصرىّ القديم للمدينة.

٢٢) عن تاريخ ساردیس وعصور ازدهارها انظر J. Boardman, *The Greeks Overseas: Their Early Colonies and Trade*, second edition, London, 1973, 94-97 وخاصة صفحات ١٠٣-١٠٤ و ١٠٩ عن مدى أهميتها فى القرن السادس قبل الميلاد. وفيما يتعلق بسيطرة العرب على غزة انظر جواد على،

المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٥٨٤، وأيضاً بَرّو، المرجع السابق، ص ١٠٠، الذى يحدد تاريخ وصول الأنباط إلى المنطقة الواقعة حول البتراء بحوالى ٥٠٠ ق.م.

٢٣) هيرودوتوس (١٠٧:٣) وقارن أيضاً (١٣٥:٢).

٢٤) هيرودوتوس (٥:٣) مع ملاحظة (١٢:٢)، حيث يذكر بشكل عابر أن السوريين يسكنون ساحل البحر المتوسط المواجه لبلاد العرب.

٢٥) هيرودوتوس (٣٠:٢). وبالنسبة لموقع دافنى انظر محمد صقر خفاجة وأحمد بدوى، المرجع السابق، ص ٢٢٣ حاشية رقم ٢

٢٦) هيرودوتوس (١٢:٢)، وأيضاً (١٥:٢).

٢٧) هيرودوتوس (٤:٢) حيث ينتهزها فرصة للإشادة بدور أحد مواطنيه ويدعى فانيس فى الحملة التى قام بها قمبيز على مصر. انظر أيضاً Boardman, *op. cit.*, 19, 51-52, 102-104

٢٨) هيرودوتوس (١٠٧:٣-١٠٩).

٢٩) هيرودوتوس (١١٠:٣).

٣٠) هيرودوتوس (١١١:٣).

٣١) هيرودوتوس (١١٢:٣).

٣٢) هيرودوتوس (١١٢:٣).

٣٣) هيرودوتوس (١٢:٢). علماً بأن التربة فى ليبيا تتصف - كما يقول - بكونها رملية تميل إلى الحمرة، بينما هى فى مصر سوداء هشة لكونها رسوبية.

٣٤) هيرودوتوس (١١٣:٣).

٣٥) هيرودوتوس (١٣١:١). انظر أيضاً الدكتور محمد ولد داده، جزيرة العرب: مصير أرض وأمة، الجزء الأول: قبل الإسلام، الرياض، ١٩٨٧، ص ١٤٢

٣٦) راجع جواد على، المرجع السابق، المجلد السادس، ص ٣٢٧، وكذلك محمد ولد داده، المرجع ذاته، ص ١٤٢، حيث يربط بين معرفة الأنباط بزراعة الكروم وديانة ديونيسوس. انظر أيضاً مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ٢٠ مع الحاشيتين رقم ٤٢، ٤٣ حيث يناقش التشابه بين اسمى اليلات واللات. راجع أيضاً أخيراً P. Högemann, *Alexander der Grosse und Arabien*, in *Zetemata: Monographie zur Classischen Altertumswissenschaft*, Heft 82, Munchen, 1985, 140 الذى يؤكد على

وجود عدد آخر كبير من الآلهة عند الأنباط.

٣٧) هيرودوتوس (٨:٣). وراجع جواد على، المرجع السابق، المجلد الرابع، صفحات ٦٠٩ و ٦١٤ حيث يوضح اهتمام العرب باللحى وبالشعر.

٣٨) هيرودوتوس، الفقرة ذاتها.

٣٩) هيرودوتوس (٦٩:٤-٧٠). وقارن Hitti, *op. cit.*, 27 حيث يرى فى هذه الطقوس نوعاً من طقوس التبنى فى القبيلة.

٤٠) راجع Hitti, *op. cit.*, 27 الذى يلحظ أن عضوية القبيلة يمكن الوصول إليها بشكل فردىّ عن طريق مشاركة أحد أفرادها الطعام أو امتصاص الدماء، وكذلك لطفى عبد الوهاب يحى، الوضع السياسى فى شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادى، فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، الجزيرة العربية قبل الإسلام، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٩، صفحات ٩١-١٠٣، وخاصة ص ١٠٠، حيث يلحظ وجود نوع من "الملكية الجماعية" فى الممالك الجنوبية فى تلك الآونة.

٤١) أو لا يعنى، على الأقل، استخدامها فى الموضوعات التى يشير إليها هيرودوتوس. عن الكتابة فى شمال الحجاز انظر الدكتور أمين مدنى، التاريخ العربىّ وبداياته، الكتاب العربىّ السعودىّ (رقم ٤٥)، الطبعة الثانية، جدة، ١٩٨١، صفحات ١٦٥-١٦٦، الذى يشير إلى بعض النقوش المعينية فى منطقة العلا، التى يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الأخير قبل الميلاد.

٤٢) هيرودوتوس (١٩٨:١).

٤٣) هيرودوتوس (٦٩:٧). راجع كذلك جواد على، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٦٢٧، الذى يقارن بين الزايرا والمئزر والإزار، ويرى أيضاً أنها أقرب للفظ إزار. ويتميز العرب بهذا الرداء عن الأشوريين الذين يصف هيرودوتوس (١٩٦:٢) رداءهم بأنه قميص من الكتان يصل إلى الأقدام، ويعلوه آخر من الصوف، ثم تعلو ذلك كله عباءة بيضاء.

٤٤) هيرودوتوس (٨٧:٧). انظر أيضاً Högemann, *op. cit.*, 53 الذى يرى أن هؤلاء الجنود تم جمعهم من المناطق الشمالية لشبه الجزيرة والواقعة تحت سيطرة الفرس.

٤٥) راجع بَرّو، المرجع السابق، ص ٩٣، حيث ينسب إلى اليمنيين على وجه التحديد نسج هذه الخرافات.

٤٦) هيرودوتوس (١٠٧:٣).

٤٧) هيرودوتوس (١١١:٣). وعن نشاط الفينيقيين التجارىّ بشكل عام انظر ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة، القاهرة، ١٩٩٧، صفحات ٣٤٥-٣٦٩

٤٨) هيرودوتوس (١١٢:٣).

٤٩) انظر الحاشية السابقة رقم ٢٢، علماً بأن بعض اليونانيين عرفوا طريقهم إلى البحر الأحمر عندما استعان بهم الملك المصرىّ نخاو فى إقامة أسطوله البحرىّ هناك، راجع كذلك سيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، صفحات ٤٠٤-٤٠٥

٥٠) راجع Burn, *op. cit.*, 21، وكذلك إشاراته إلى العهد القديم التى يوضح على أساسها أن الدفاع عن القدس اعتمد إلى حد كبير على الجنود العرب: "The defence of Jerusalem depended *largely* upon Arab mercenaries" (emphasis added)

٥١) ذلك على الرغم من كون هذه المرحلة حافلة بالأحداث، انظر على سبيل المثال وصف هيرودوتوس المقتضب (١٤١:٢) للملك الأشورى سنحريب بأنه "ملك الأشوريين والعرب" وراجع كذلك مناقشة مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ١٦، لهذا الموضوع فى ضوء حوليات آشور وما تذكره عن أحداث حملة الأشوريين على مصر عام ٦٧١ ق.م، وأيضاً الدكتورة فايزة محمود صقر، العلاقات بين العرب والعراق القديم من خلال النصوص الأشورية منذ منتصف القرن الثامن إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، فى: أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، حصاد ٦، القاهرة، ١٩٩٨، صفحات ٩٧-١٢٠

٥٢) هيرودوتوس (٤:٣).

٥٣) يعلق Burn, *op. cit.*, 84 على دور فانيس قائلاً بأنه ربما كان يتوقع الهزيمة، وبأنه هجر أمازيس إلى الجانب الرابح حسب تقديره.

٥٤) انظر هيرودوتوس (٧:٣)، حيث يقول: *Kambuses puthomenos tou Halikarnesseos xeinou pempsas ton Arabion aggelous kai deetheis tes asphaleies etukhe, pistis dous te kai dexamenos par'autou*

٥٥) راجع Burn, *op. cit.*, 84 الذى يشير إلى أن هذا الملك كان بدون شك أحد ملوك الأنباط، ثم يطلق عليه بعد ذلك مباشرة وفى الجملة ذاتها لقب "الشيخ الحاكم" reigning sheik

٥٦) راجع لطفى عبد الوهاب يحى، الوضع السياسىّ فى شبه الجزيرة العربية

حتى القرن الأول الميلادىّ، صفحات ٩٥-٩٦، حيث يميز بين المدلول الدينىّ للفظة ملك وبين دلالتها السياسية العامة)، وكذلك مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، صفحات ١٨-١٩ ربما أن استخدام اللقب، على العكس من ذلك، يعطى فكرة أكبر عن نظرية اليونانيين عن الأوضاع السياسية القائمة فى الشرق، والتى مؤداها أن كافة الشعوب الشرقية قد توقفت فى تطويرها لنظمها السياسية عند النظام الملكىّ؛ انظر هيرودوتوس (٣:٨٠-٨٢). وراجع Selincourt, *op. cit.*, 78 وأيضاً T. A. Sinclair, *History of Greek Political Thought*, Cleveland, Ohio, 1967, 36-38

٥٧) هيرودوتوس (٣:٧). انظر كذلك إشارته فى الموضع نفسه إلى الأسلوب الذى لجأ إليه الفرس بعد ذلك للحصول على المياه اللازمة لعبور الصحراء، وإقامتهم خزانات كبيرة على حافتها الشرقية، حتى لا يعتمدوا دائماً على مساعدة العرب.

٥٨) عن خزانات المياه وعن معرفة سكان المنطقة لها راجع ما يذكره ديودوروس (١٩:٩٤:٧-٨).

٥٩) وعلى أية حال فإن ما فعله "ملك العرب" المشار إليه لا يختلف عما فعله من قبل الأدلاء العرب الذين قادوا الجيوش الشرقية السابقة التى حاولت فتح مصر عبر صحراء سيناء، بل وساعدوها على فتحها، راجع الحاشية السابقة رقم ٥٠، وقارن أيضاً سيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، صفحات ٤٠٣-٤٠٤ و ٤١٠.

٦٠) هيرودوتوس (٣:٨٨ و٩١). انظر أيضاً Burn, *op. cit.*, 107

٦١) هيرودوتوس (٣:٩٦)، حيث يذكر أن العرب يحضرون ما قيمته ألف تالينت من البخور كل عام إلى الملك الفارسىّ؛ انظر كذلك (٧: ٦٩، ٧٠، ٨٦، ٨٧) وأيضاً (٧:١٨٦) حيث يُقدر أن عدد العرب من راكبى الجمال والليبيين من راكبى العربات قارب العشرين ألف مقاتل.

٦٢) يبدو أن الجدل حول حقيقة زيارة هيرودوتوس لمصر لن ينتهى، خاصة وأن هيرودوتوس ذاته يدعونا، بما يذكره من معلومات غير دقيقة فى بعض المواضع، إلى التشكك فى كونه زار حقيقة الأماكن التى يذكر أنه زارها. انظر محمد صقر خفاجة وأحمد بدوى، المرجع السابق، ص ٢١ حيث يقول الأخير: "إنا لنعجب أشد العجب - ولا ندرى كيف نستطيع تصديقه فيما يزعم فى الفصل التاسع والتسعين من هذا الكتاب [أىّ: الكتاب الثانى] - أن كل ما ورد فيه إنما هو نتيجة ملاحظاته الشخصية، ومشاهداته، وبحوثه الخاصة." انظر أيضاً O.Kimball Armyor, "Did Herodotus ever go to

Egypt?", *JARCE* XV(1975), 59-73 الذى لا يعتقد فى حدوث مثل تلك الزيارة وأن هيرودوتوس (ص ٧٠): "مثل من سبقه من رواة القصص اليونانيين البارعين يدعى أن رأى فى مصر وفعل فيها ما لم يره وما لم يفعله،" وأنه (ص ٧١) اعتمد "اعتماداً كبيراً على الروايات اليونانية السابقة عن البلاد عندما قام بكتابة تاريخه." وفيما يبدو فإن الزيارة فى حد ذاتها ليست أمراً مستبعد الحدوث بالنسبة لهيرودوتوس، وإن كان من الصعب أن نصدق أن كافة ما يرويه كان نتيجة مشاهدات شخصية له، حتى وإن ذكر هو ذلك. ربما أن حل المسألة لا يتمثل فى أن نتقبل كافة ما يذكره، أو أن نرفضه كلية.

٦٣) يقول هيرودوتوس (٧٥:٢): *es touto to khwrion zlthon punthanomenos peri twn pterwtwn ophiwn...apikomonos de eidon ostea ophinwn kai akanthas* انظر أيضاً مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ١٠

٦٤) أريانوس، حملات الإسكندر، (١٢:١). وعن كتابات أريانوس الأخرى انظر Arrian, *The Campaigns of Alexander*, translated by Aubrey de Selincourt, revised with a new introduction and notes by J. R. Hamilton, London, 1971, 16-17 (henceforward referred to as Selincourt and Hamilton)

٦٥) أريانوس، حملات الإسكندر، (١:١-٢). لقد كان بطلميوس أحد رفاق الإسكندر منذ طفولته وأحد قادته المهمين فيما بعد، أما أريستوبولوس فقد كتب وصفاً جغرافياً لشواطئ شبه الجزيرة العربية وتحدث فيه عن الخطط التى وضعها الإسكندر للسيطرة عليها. راجع Selincourt and Hamilton, *op. cit.*, 21-23

٦٦) ويختلف منهج أريانوس لذلك - بطبيعة الحال - عن منهج هيرودوتوس. راجع Selincourt and Hamilton, *op. cit.*, 21-31 عن منهج أريانوس بشكل عام، وانظر كذلك الفقرة التالية.

٦٧) أريانوس، حملات الإسكندر، (٢٠:٢).

٦٨) راجع لطفى عبد الوهاب يحى، المرجع السابق، صفحات ٩٦-٩٧، وكذلك فايزة محمود صقر، المرجع السابق، صفحات ٩٧-١٠١

٦٩) أريانوس، حملات الإسكندر، (٢٦:٢).

٧٠) أريانوس، حملات الإسكندر، (١:١:٣).

٧١) أريانوس، حملات الإسكندر، (٢٦:٢).

٧٢) راجع جواد على، المرجع السابق، ج ٢، ص ٩ الذى يشير إلى بعض الكتابات النبطية التى تحتوى على اسم بطشو. انظر كذلك Högemann, *op. cit.*, 47 (with note 3) الذى يتشكك (دون مبرر) فى كون باطش فارسياً أو عربىّ الأصل: "Batis, von dem unbekannt ist, ob er ein Perser oder ein Araber war"

٧٣) يصور عدد كبير من المصادر القديمة فداحة الخسارة التى منيت بها المدينة بعد فتح الإسكندر لها وما حصل عليه من منتجاتها، راجع على سبيل المثال ديودوروس، (١٧:٤٨:٧)، واسترابون (١٦:٢:٣٠)، وبلوتارخ، الإسكندر، (٢٥:٤).

٧٤) أريانوس، حملات الإسكندر، (٢:٢٦).

٧٥) يروى أريانوس (حملات الإسكندر، ٢:٢٦) أنه فى أثناء تقديم الإسكندر للقرابين كعادته قبل بدء القتال، ألقى أحد الطيور على رأسه حجراً، وهو الأمر الذى فسره الكاهن بأن الإسكندر سوف يفتح المدينة وإن كان عليه أن يحرص على سلامته الشخصية.

٧٦) أريانوس، حملات الإسكندر، (٢:٢٧). راجع أيضاً W. W. Tarn, *Alexander the Great*, Cambridge, 1948, 41 الذى يلحظ أن غزة استبسلت فى المقاومة: "resisted desperately" انظر كذلك P. Green, *Alexander of Macedon 356-323 B.C.: A Historical Biography*, Oxford, 1991, 266-267 الذى يلحظ قسوة العقاب الذى أوقعه الإسكندر على المدينة من جراء هذه المقاومة.

٧٧) أريانوس، حملات الإسكندر، (٢:١٧-١٩).

٧٨) انظر الحاشية السابقة رقم ٧٤، وكذلك Högemann, *op. cit.*, 48

٧٩) أريانوس، حملات الإسكندر، (٣:١).

٨٠) أريانوس، حملات الإسكندر، (٥:٢٥).

٨١) أريانوس، حملات الإسكندر، (٧:١-٢).

٨٢) أريانوس، حملات الإسكندر، (٧:١٩-٢٠).

٨٣) أريانوس، حملات الإسكندر، (٧:٢٠-٢١).

٨٤) أريانوس، حملات الإسكندر، (٧:٢١). انظر أيضاً لطفى عبد الوهاب يحيى، الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية، ص ٥٧، وراجع أخيراً: Högemann, *op. cit.*, 93

٨٥) أريانوس، حملات الإسكندر، (٢١:٧).

٨٦) أريانوس، حملات الإسكندر، (٢١:٧).

٨٧) أريانوس، حملات الإسكندر، (٢١:٦-٢٢). انظر أيضاً Tarn, *op. cit.*, 106 الذى يلحظ أن هذا النهر يعرف حالياً بنهر الهاب، ويعلق على القبيلة (دون توثيق) بأنها إيرانية الأصل وإن كانت لها بعض العادات الهندية. راجع أيضاً Selincourt and Hamilton, *op. cit.*, 330 with note 35

٨٨) راجع كذلك Hogemann, *op. cit.*, 152 الذى يشير إلى مستوطنات عربية مشابهة فى الهضبة الإيرانية وبالقرب من سوسا وقت مجىء الإسكندر الأكبر إلى المنطقة.

٨٩) أريانوس، حملات الإسكندر، (١٧:٢). راجع كذلك G. Hölbl, *A History of the Ptolemaic Empire*, translated by T. Saavedra, London, 2001, 9

٩٠) استرابون، (٢٧:٤:١٦)، حيث يقول: "فيما يتعلق بحظ بلاد العرب الوافر يمكن للمرء أن يتخذ من الإسكندر شاهداً على ذلك، لأنه كان ينوى - كما يقولون - أن يجعل منها مقره الملكى عقب عودته من الهند" *Tes de twn Arabwn eudaimonias kai Alexandron an tis poiesaito martura ton dianoethenta, hws phasi, kai Basileion auten poiesasthai meta ten ex Indwn epanodon* لاحظ أن استرابون يستطرد بعد ذلك مباشرة موضحاً أن موت الإسكندر المفاجئ قد قضى على كافة مشروعاته.

٩١) فبهذه الكيفية "تكتمل حلقة الاتصال البحرىّ" الذى لا غنى عنه لتأكيد نفوذ الإسكندر على المناطق المفتوحة، انظر لطفى عبد الوهاب يحى، الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية، ص ٥٧

٩٢) عن الطرق التجارية بين الشرق والغرب المعروفة فى ذلك الوقت راجع: W.W. Tarn and G.T. Griffith, *Hellenistic Civilization*, 3rd edition, Cleveland, Ohio, 1952, 241-245 وعن إصلاحات الإسكندر فى جنوب العراق انظر أريانوس، حملات الإسكندر، (٢٢:٧-٢٣)، وكذلك استرابون، (١١:١:١٦).

٩٣) انظر Tarn, *Alexander the Great*, 119 لا شك أيضاً فى أن الإسكندر كان يعلم بالمحاولة السابقة التى قام بها بحار يونانىّ يدعى سكولاكس بإيعاز من الفرس للدوران حول شبه جزيرة العرب، راجع سيد أحمد الناصرى، الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة، ص ٤٠٥، مع الحاشية رقم ٨ على ص ٤٢٣، وكذلك مصطفى كمال عبد العليم، هردوت يتحدث عن العرب

وبلادهم، ص ١٠، وقارن Högemann, *op. cit.*, 45، الذى يرجح أن محاولة أناكسيكراتيس كانت أسبق بقليل من محاولات البحارة فى شرق الجزيرة، ويرى (p. 80) أنها حدثت حوالى عام ٣٢٤ ق.م.

٩٤) انظر لطفى عبد الوهاب يحى، الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية، ص ٥٨، حيث يلحظ أن ما عبر عنه أريانوس من اهتمام الإسكندر بشبه الجزيرة "كان بداية لعلاقة نشطة" بين الدولتين.